روايات





الإنسان الجديد

COMMAND THE MORNING

٥٠ مليما

روايات عالمية

العدد رقم ٣٤٣

الإنسان الجديد

تأليف بيرل باك
ترجمة بهجت عبد الفتاح

كان ذلك في عام ١٩٤٠ وكانت انجلترا قد أعلنت الحرب على المانيا في سبتمبر عام ١٩٣٩ ، ولكن أمريكا كانت ماتزال في مأمن من كل خطــر .

كان بيرتون هول يقول فيما بينه وبين نفسه : اننا مازلنا في مأمن ، وكان الوقت ربيعا حتى في كاليفورنيا ، حيث كانت بوادر الخضرة الجديدة ، وبراعم الازهار أقل وضوحا منها في حديقتــه الصغيرة في ضواحي شيكاغو التي تركها منذ يومين ليأتي الى هنا بالطائرة . وكان ركوبه للطائرة دائما ما يسبب جدلا بينه وبين زوجته مولى ، فكانت تزمجر وهي تقول له :

ـ اذا كنت مصمما على أن تموت ، فكم أود أن تختار طريقــة للموت لا تتركك اربا . أني أريد أن أجد شيئا اواريه التراب ، واقوم بزيارته بين الحين والآخر .

وكان بيرتون يبتسم في غيظ وهو يقول لها :

ـ شيئا تزورينه ؟ انك لم تشاهدي بعد نصف ماسوف افعله اذا دخلنا هذه الحــرب .

ثم طبع على خدها الممتلىء قبلة ، واستدار ذاهبا الى المطــار في عربته القديمة .

وبعد ثمان واربعين ساعة كان يتناول عشاءه في نادي الكلية في بيركلي مع وليم طومبسون ، أحد زملائه العلمــاء وبدأ حديثه معــه قائلا :

ـ لقد ابلغت زوجتي مولي ـ منذ ثلاثة شهور ـ باننا قد ندخل

هذه الحرب فى شهر ابريل الماضى ، وانى أشكر الله انى كنت مخطئا وآمل ان اشكره دائما عندما اقع فى مثل هذا الخطأ .

وعبر المائدة التى كانا يجلسان اليها ، كانت شمس الظهيرة تسطع من خلال اذنى طومبسون ، الرفيعتين الكبيرتين ، حتى انهما بدتا مثل فراشات قرمزية اللون على جانبى وجهه الشاحب الصغير .

وساله بيرتون هول :

ـ الم تر فى حياتك فراشات قرمزية اللون ؟.

وتطلع اليه طومبسون مندهشا ، وقال :

ـ اتقول فراشات ؟.

فقال بيرتون هول :

ـ وقرمزية اللون أيضا .

واخذ طومبسون يفكر فى الأمر باهتمام ، بينما كانت السكين والشوكة ترقدان فوق قطعة اللحم المقطعة . وقال :

ـ لم ارها ابدا قرمزية اللون .

فقال بيرتون هول فجأة :

ـ وانا كذلك لم ارها قرمزية اللون ..

ثم اخذ يقطع بسكينه قطعة سميكة من اللحم المحمر ، وقال :

ـ لنعد الى ماكنا نتحدث عنه ..

كانا يتحدثان عن الحرب التى يستعر اوارها فى اوروبا وآسيا وكانا يتحدثان ايضا عن زملائهما من العلماء الذين يهربون من المانيا وبولندا ، والنمسا ، والمجر ، ليلجأوا الى فرنسا فى بادىء الأمر وبعد ذلك الى انجلترا ، والآن يتدفقون الى الولايات المتحدة حاملين معهم قصصهم المخيفة الرهيبة .

وتساءل طومبسون . وكان قد فرغ من التهام آخر قطعة من اللحم فى طبقه ، ووضع الشوكة والسكين جنبا الى جنب :

ـ هل تعتقد اننا نستطيع أن نكون بمنأى من هذه الحرب ؟.

فقال بيرتون هـــول :

ــ اننا لانستطيع ان نتجنبها .

فرد عليه طومبسون قائلا :

ــ اجــــــل .

ولم يكشف صوته المضطرب عن اى اهتمام غير الضيق . ثم واصل كلامه بنفس الطريقة قائلا :

« ان النازيين يعملون حاليا فى الطاقة الذرية ، ولديهم نظرية فصل اليورانيوم ٢٣٥ . وقد يعنى هذا انهم ينوون عمل قنبـــلة ذرية ، بالرغم من أن فيرمى لا يعتقد انهم يستطيعون ذلك » .

فقـــال بيرتون هـــول :

ــ انهـــا أوهام فيرمى .

فرد عليـــه طومبســـون قائلا :

ــ كيف تستهين بمثل هذه الاستعدادات ؟ .

فأجابه بيرتون هـــول :

ــ لاننى واقعى .

لم يكن طومبسون قد جاء الى هذا المكان ليتحدث عن الأسلحة وكان يعرف أنه يكذب على نفسه . لقد جاء الى هنا وهو يشـــعر بشيء من الخوف لأنه عالم كبير ، فقـــد قام بعمل « سيكلوترون » تستطيع اشعاعاته ان تحطم الذرة . وكانت الذرة أهم شيء فى العالم فى ذلك الوقت ، وهى جزء لا تستطيع عين الانسان أن تراه الا كنقطة باهتة على شاشة سينمائية . واتكأ بيرتون هول واقترب بوجهه الى عينى طومبسون المندهشتين ، وقال له :

ــ هل انت مستعد لأن تقضى معى العام القادم للقيـــام بهذا العمــــــل .

فأجاب طومبسون :

ــ اذا اضطررت الى ذلك ، بالرغم من أننى أود أن انهى تجاربى

واصل الى بعض النتائج ، من أجل المؤتمر الدولى الكبير الذى سيعقد فى الخريف القـادم .

فقـال بيرتون هـول :

ـ ان هناك اشياء كثيرة نود أن نقوم بها والتى لايبدو انها ستتم الآن على الأقل . انني اجمع العلماء ، وأحسن العلماء بالطبع ، من كل ركن من المصانع والجامعات . والرجل الذى اعول عليه كثيرا بعدك هو ستيفن كوست ، اتعرفه ؟ فتساءل طومبسون فى حذر :

ـ هو شاب ؟ اليس كذلك ؟.

فأجابه بيرتون هـول :

ـ انه شاب وجرىء ولهذه المهمة يجب أن يكون هؤلاء العلماء من الشـبـاب .

وصمت طومبسون ، وأخذ يعد مامعه من نقود . وكان بيرتون هول ينتظر ، ويجول بعينيه الخضراوين فى القاعة المزدحمة . كان كل من فى هذه القاعة ياكل ويشرب ، وكل منهم يرتاح الى مكانه الصغير فى الجامعة ، دون أن يفكر فيما يطويه المستقبل . وسوف يطلب ستيفن كوست اليوم . وبعد ذلك يشغل نفسه بما جاء من أجله . لقد جاء الى كاليفورنيا ليذهب الى جبل بعيد يرقد فوق قمته تليسكوب كبير وهناك سوف يتطلع الى النجـوم البعيدة ، والمجرات التى تبعد عن المكان الذى يقف فيه بنحو خمسين الف عام وكما يتجه بعض الناس الى الله يستلهمونه القدرة على البقاء فى أوقات الشدة والخوف كما يتجه آخرون الى الشراب هـروبا من مخاوفهم ، اتجه هو الى النجـوم والفضاء الواسـع العريض .

وتنبه فجأة الى وجود طومبسون وقال :

ـ هل استطيع ان اعتمد عليك يا تومى ؟ .

ـ اذا وقع اسوا مايمكن أن يحدث يابيرت .

ـ سوف يحدث . انى خائف .

ـ آمل الا يحـدث .

وصافح كل منهما الآخر . وركب بيرتون هول سيارته ، ويمم وجهه تجاه سلسلة من الجبال فيما وراء الأفق .

كانت ليلة صافية ، صعد بيرتون هول بسيارته الى الطريق الوعر فى شىء من اليسر ، واخذ يدور بها حول الجبل حتى وصل الى قمته . وفى ضوء القمر الخافت رأى القبة الفضية الهائلة ، اكبر تليسكوب فى العالم ، والذى استغرق بناؤه عشر سنوات وجهود مئات من الرجال الذين مات عدد منهم اثناء العمل . وامضى فى صمت تام ما يقرب من ثلاث ساعات تحت القبة الفضية العالية . وخرج كما كان يخرج من قبل ، رجلا متواضعا يحمل فى رأسه أفكارا كثيرة . لقد كان كل مايشغل باله أن يعرف كيف تولد النجوم ، وكيف تكبر ، وكم من الزمن تبقى فى الفضاء الذى يحيط بها . . ويسأل نفسه :

ـ لماذا لم اتمسك بهذا الامل ؟ ولماذا شغلت نفسى بالأشعةالكونية وبنواة الذرة ، وهى شىء صغير جدا ، لا أستطيع أبدا أن آمل فى أن أراه . ان الارض رائعة الجمال ، ولكن لماذا لا تشبع روح الانسان القلقة ؟ ثم لماذا هو يمضى أيضا يحاول أن يعرف ما وراء ذلك ،وهذه معرفة لانهاية لها ؟ انه الجوع والعطش الى المعرفة .

كان يقود سيارته فى الطريق الضيق الملتوى فى تهور لاشعورى وانما كان يفكر فى السر وراء ذلك كله . انه لا مفر من المحاولة ان الانسان عندما يتوقف عن طلب المعرفة يعود الى عصور الوحشية فاما التطلع الى النجوم او العودة الى الادغال . . وفجاة تذكر انه نسى أن يطلب ستيفن كوست .

كانت اشعاعات الشمس الغاربة تزحف على ارضية الحجرة وكان ستيفن كوست يتنهد . كان النهار على وشك أن ينتهى . وكان وحده فى الشقة . فقد كانت زوجته هيلين فى حفلة فى الشقة المجاورة . كان البيت هادئا . ومرت الساعات كدقائق وهو يجلس فى معمله . وفجاة ينظر الى الساعة فيجدها السادسة ياللسماء!!

لقد أوصته زوجته أن يشعل الفرن فى الساعة الخامسة حتى يكون الطعام معدا فى السابعة . فأسرع وغسل يديه ، وقفز درجات السلم الضيقة الى المطبخ . وفي نفس الوقت كانت زوجته عائدة من الباب الخلفى ، فتوقف وهو يشعر بالذنب ، أما زوجته فضحكت وقالت :

ـ لقد نسيت أن تشعل الفرن على الطعام .

ـ كيف عرفت ذلك ؟ .

ـ ان وجهك دائما يقول لى كل شيء .

وقبلته قبلة قصيرة ، وأشعلت الفرن . فقال ستيفن :

ـ انى آسف ياهيلين .

فقالت زوجته وهى تخلع قبعتها ، وتفرد شعرها الاسود المجعد .

ـ سوف نتناول عشاءنا بعد الوقت المحدد له بساعة . ولكن ماذا كنت تفعل ؟ بين كتبك بالطبع ؟ .

كان ستيفن كوست طيلة السنوات الخمس السابقة يقيس الأشعة الكونية ، هذه الاشعاعات من الحرارة التى تخترق أجواء الكرة الارضية . لطالما صعد جبال الهيملايا ليقف مرتعشا بل يكاد يتجمد من البرودة بين الثلوج ، وطالما هبط الى اعماق المناجم الساخنة فى مناطق الفحم فى ويلز ليكشف عن تسلل هذه الاشعة ومن هذه الكشوف جميعا سوف يضع كتابا . وقد اتفق مع زوجته على أن يتحول هذا الكتاب الى تلك المادة النفيسة ، المال ، وذلك لبناء البيت الذى تريده هيلين . وقد وعدها زوجها بان يفعل ، وانه لن يستخدم مزيدا من الأموال للانفاق على رحلات أخرى ، وكان يريد أن تكون رحلته الثالية خط الاستواء حتى يكتشف ماذا يعنيه انبعاج الكرة الأرضية هناك . ولكن البيت قبل كل شيء .

ورفع غطاء قدر من الخزف الأزرق يحتوى على كعك . ولكن هيلين خطفت الغطاء منه ووضعته مكانه . وقالت :

ـ هذا خداع .. لأنك نسيت ان تفتح الفرن على الطعام .

ورضخ لها كما كان يفعل دائما فى المسائل البسيطة كلها .
وفجأة قالت هيلين :
ـ انك لم تعمل حتى فى معادلات الاشعاعات الكونية .
فقال فى ألم :
ـ هل وجهى ينبىء عن ذلك أيضا ؟ .
فسألته :
ـ اذن ماذا فعلت ؟ . فاعترف لها بقوله :
ـ كنت أعد طعام الكلب . فقالت :
فقالت :
ـ كل فترة ما بعد الظهر من اجل الكلب . لقد وعدتنى ان تبدأ كتابك اليوم .
فقال :
انني شخص لا يعتمد عليه كلية .
فرمقته بنظرة فاحصة ؟ بعينيها الورقاوين جدا . وقالت :
ألا تريد أن تتغير ؟ ففكر قليلا ثم أردف :
لا . . أعتقد . . انني لن أفعل ـ ليس لدى وقت لذلك .
واطلقت ضحكتها الناصعة المفاجئة وجرت اليه واحتضنته بعنف وقالت :
انك أمين مخلص بشكل يستحق الاعجاب .
وتحمل هذا العناق بصبر وبعد أن واجه نظراتها التى تؤنبه انحنى قليـــلا ليقبلها على خدها ولكن فى هدوء ورقة حتى انها تشبثت بكتفيه وهزته بقدر ما أتاحت لها قوتها فقد كان رجـلا ضخما بالرغم من أنه نحيف ، وكانت هى امرأة رقيقة صغيرة الحجم ثم قالت فى عنف :
ـ أتدرى كم من الأيام انقضى منذ أن اجتمعنا آخر مرة ؟ .
فقال لها على الفور :
ـ « منذ أسبوع » .
ورفعت اليـــه حاجبين سوداوين ، وزمت فمهـــا الوردى ثم

استطردت « منذ اسبوعين .. لو لم أكن أكثر النساء صبراً واحتمالا في هذا العالم ، ومتزوجة بأكثر العلماء جموداً وبرود عاطفة لكنت ...

واستطاع أن يستكشف أنها قد سكتت قليلا لتستمع الى سؤاله :

ـ ماذا كنت ستفعلين ؟ »

فاجابت بسرعة :

ـ كنت هربت .. وهربت بعيدا .. حتى اذا كان الليل شديد البرودة .

فقال :

ـ كنت اضيع وقتي بشكل كبير لو جريت بحثا عنك . ولكني أعتقد انني كنت ساضطر لذلك .

واخفت وجهها في صدره وقالت :

ـ كنت ستأتي ان لم تفعل ..

واعرب عن موافقته على هذا القول واردف :

ـ كنت ستأتين . وبكل تأكيد انك لاتستطيعين أن تتحملي ، الا تعرفين ماذا افعل بدونك .. كنت ستخشين أن أمضي على غير ما يــرام .

وضحكت مرة اخرى وهي تضيف :

ـ انا أعرف انك لاتريدني ولكنك على الاقل ، وقف تتظاهر بأنك تريدني .

ولم يجب على قولها هذا اما هي فقد رفعت وجهها وهي تأمره قائلة :

ـ قبلني بالطريقة الصحيحة .

منذ سنوات عندما كانا جديدين في الكلية ، علمته بالضبط ماذا تعنيه بالقبلة على الطريقة الصحيحة ، ومن ثم مضى على الفور في القيام بهذا الواجب وهو واجب حبيب الى نفسه ولاريب ... وانتظر الرعشة التي تنسال في عروقه . وضغط بشفتيه على

شفتيها ؟ واخذ يقيس الحرارة المتزايدة الناتجة ، وتخيل آلة دقيقة تقيس بطريقة بيانية القوة المتزايدة للحب ان هذه القوة فى سيرها تعتبر تفجيرا ذريا أيضا .

ونزعت نفسها من بين يديه :

ــ انك لاتفكر فى !.

وحينئذ رن جرس التليفون ، وعلى التو استدار الى هذه الآلة التى انقذته من الورطة التى كان فيها . ودفعته زوجته جانبا وقالت :

ــ ان هذه مكالمة لى ، وأنا انتظرها . ان عائلة بورتر تريدنا أن نذهب اليها ، وقد قلت لهم سوف ابلغك .

فسألها ...

ــ ماذا تعنين ؟ .

فقالت وهى تقضم شفتها السفلى ، وعيناها مسددتان اليه .

« أعنى ماتعرفه بالضبط » .

واختطفت زوجته سماعة التليفون ثم اعطتها له ، وهى تقول :

ــ ليست هذه مكالمة عائلة بورتر ، ان شخصا يريد أن يحدثك من كاليفورنيا .

ورمقها بنظرة تأنيب ثم أمسك بسماعة التليفون . واخذ يحدثه رئيسه العالم الطبيعي « بيرتون هول » وكان صوت «بيرتون» المرتفع يهز اسلاك البرق ، وهو يقول :

ــ آسف اذ اطلبك فى هذه الساعة ولكن الامر مهم جداً .

ــ بالطبع !.

ــ اذا طلبت منى الحكومة أن اراس مشروعا معينا فانى اريدك أن تكون معى .

ــ أين ياسيدى ؟.

ــ لا أعرف بعد . بل لا استطيع ان اقول لك ماهو هذا المشروع ولكنك لن تأسف على الحضور . انه اكبر عمل فى العالم .

ــ الا تستطيع أن تقول لى اكثر من هذا ؟.

ـ لا . ان الأمر سـ ـ ـ ـ ن .

ـ ومن سيكون معنا فى هذا المشروع ؟

ـ جميــع كبار العلماء بالاضافة الى افضل العلماء من الشباب وأنت أول من أريدهم من هؤلاء .

ـ من الصعب أن أقول لك لا ، ولكن ..

وهنا رنت فى اذنه ضحكة كبيرة ، وسمع زوجته تقــول :

ـ ارفض هذا الطلب . فانا لا استطيع أن أتركك .

وتردد كوست قليلا . لقد عمل مع بيرتون هول وتحت اشرافه منذ ان انتهى من دراسته . ثم قال لاستاذه عبر التليفون :

ـ يجب أن اتحدث فى هذا الشأن مع زوجتى .

وكانت هيلين فى هذه الاثناء تذرع الغرفة وقد احتقن وجهها ثم تمتمت فى همس تقــــول :

ـ لاتقل انك مضطر لان تناقش معى هذا الموضـــــوع

وضحك ، وقال عبــر التليفــون ..

ـ ان هيلين تقول انها لاتريد أن تتحدث مع أحد بشـــان هذا الموضـــــــوع .

فرن الصوت الآخر الاجش فى اذنه وهــو يردد :

ـ يالها من فتاة طيبة . سوف ترضخ . انهن دائما يفعلن ذلك .

وكان بيرتون هول يعنى بهذه العبارة الاخيرة ، زوجته مولى .. أم ولديه الحنون ، التى تتدخل فى كل شيء ، والتى دائما ماتكون حاضرة فى أى موضوع ، حتى أن هيلين فى يوم من الأيام قالت فى غضب انه لاتوجد وسيلة للبعد عن هذه السيدة . وقال لهاستيفن آنذاك :

ـ وبمــــا لايريد هــــو أن يبتعــد عنها .

كانت هيلين قد فتحت عينيها الزرقاوين تحت رموشها السوداء ثم القت بكلمة ـ غبى ـ التى كانت كافية لأن يتبادل الاثنان بسببها الضـــــحك .

ثم قال ستيفن لاستاذه عبر التليفون :

ـ احب ان اسمع كل شيء عن الموضوع اذا بدىء في تنفيذه والعمـــل فيــه

فسمع بيرتون هول يقول له :

ـ بالطبع . واحب أن اراك صباح الثلاثاء في العمل ».

وسمع ستيفن صوت سماعة التليفون على الطرف الاخر وهى ترتطم بالآلة ، ثم وضع السماعة التى فى يده ، ووقف تائها فى تفكير عميق وكانت هيلين تنتظر فى صمت ،وكانت قد فتحت باب الفرن.. واخرجت الشواء ،ثم جسته بشوكة ، ثم ادخلته مرة اخــرى ، واغلقت الباب . ثم أخذت تتمتم :

ـ وداعا يامنزلي .. وداعا يامنزلي الحبيب الجديد .. المنزل الذى لن أملكه أبدا ، بيتى ، قلعتى، مأواى الجميل، وداعا يا شجيرة الورد البيضاء وداعا ياحديقتى الزرقاء ذات الأشجار الجميلة .. وداعا لــكل شىء .

وتنبه ستيفن فجأة ، وكأنه عائد من أماكن بعيدة وقال :

ـ لا وداع لأى شىء .. ان المنزل هناك ينتظر ، قد اتفق معك فى أنه سيتأخر قليلا ، ولكنه موجود ، وسوف تستمتعين به يوما ما . ثم قالت :

ـ عندما إراه ..

ولكنها كانت لا تزال مبتهجة ، ومتسامحة وكانت ترقص فى دائرة حوله ، وهى تفرد فستانها ، وأخذت تغنى :

« سوف يكون لنا ولد . سيكون لنا ولد صغير يشغلنى عن كل شىء . ولد أتلهى به بينما تكون أنت مع نجومك وذراتك » .

وقفت بجانب الفرن واطفأته ، ونظر اليها مستغربا وقال :

ـ اهـــذا وقتـــه ؟..

ولكنها واصلت رقصتها وهى تضيق من الدائرة حتى انتهت بين ذراعيه ، وشفتاها فوق شفتيه ، وتمتمت قائلة :

ليـنتظر الطعـــام .

وبعد ذلك بساعتين ، سحبت نفسها من جانبه ، وقالت :

ـ لم يحدث شيء هذه المرة أيضـــاً ».
جلست على طرف السرير الكبير ، ووضعت رجليها في « شبشبها » وكان ضوء القمر الصاعد في السماء يتسلل عبر الستائر البيضـاء المســدلة . وســألها :
ـ ما الذي يجعلك تقــولين ذلك ؟
ـ فهزت رأســها وقالت :
ـ لم يكن قلبك معي ».
وأخذ يفكر في هذا الاتهــام ثم قال :
ـ ليس صحيحا ماتقولين .
وتحولت اليه وامسكت باذنيه ، واخذت تحملق في أعمــاق عينيه ، ثم قالت :
ـ لم يكن عقلك حينئذ هنا . واتحداك ان لم يكن عقلك هــو قلبك ، وقلبك هو عقلك ، وانت لاتعرف الفرق بينهما ».
فتطلع الى العينين الزرقاوين اللتين تتهمانه ، واذا لم يستطع أن ينكر الحقيقة ، جذبها اليــه حتى أصبح فمها على فمه وتبعثر شعرها الاســـود على وجهه .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء كان بيرتون هول يتحدث الى ستيفن كوست وفي نهاية الحديث قال له :
ـ هذا ما أستطيع ان اقوله لك . أما الباقي فيجب أن تثــق بنا بشأنه .. ان هذا عمل هام في ساعة عصيبة . وسوف نجري الاختبارات في مكان ما ، وبعد ذلك نمضي في الانتاج ».
وسأله ستيفن :
ـ الا تعــرف أين ، ومتى ؟.
ـ ليس بعد . ولكن سيكون العمل في مكان بعيد منعزل لا يمر فيه انسان حيث نستطيع أن نحمي المداخل والمخارج .
ـ كم سيمضي من الوقت قبل أن نتحرك ؟.
ـ انني لا اعرف ذلك أيضا . ولكن لايجب أن تثبت في أي مكان في هذه الفترة . ولا يجب ان تشتري المنزل الجديد ».

واخذ ستيفن كوستت يفكر ، ولكن صوت بيرتون هول الحاد داهمه وهو يفكر ، وقــال :

ــ انني اريد مساعدتك ».

ولم يجب ستيفن كوستت وكانت شمس ابريل الباهتة تسطع عبر المكتب الكبير القديم فى الجامعة ، وتسقط على السجادة البالية عنــد قدميه . ثم تلاقت عينــاه بعينى بيرتون هــول الخضراوين المتوترتين تحت حاجبيه الكثيفين . وقال :

ــ الا يخاف هؤلاء العلماء الاجانب ، وخصوصا هؤلاء الــذين قدموا من المجــــر .

ــ اعتقد انك تفكر فى زيجنى انه مثير . وكم أصبت شكوكى عليه ، ولكنه لايضعف . ودائما مايردد اتهاماته بأن الامريكيين اطفال ينامون مثل الصبية ، ويحشون بطونهم بالطعام ، ويلعبــون بالكور ويتلهون بالحب . وهو يصر على أن اهتمامنا بالجنس فى حد ذاته يجعلنا اغبياء ، ويغلق عقولنا .. على فكرة سوف اتناول عشائى اليوم مع طومبسون . لقد عاد معى . الم تقابله ؟.

ــ طبعــا سمعت منــــه .

ــ اننى لأعجب هل سنستطيع مرة اخرى أن نقيس الأشعة الكونية كما كنا نفعل ؟ . لا اعتقد .

أما فيما يتعلق بطومبسون فهو زميل رائع . لقد كان طالبــا عندى منذ اثنتى عشرة سنة ، او ربما ثلاث عشرة سنة . وهويتمتع بعقل خصب ، ودائما مايفكر فى اشياء جديدة ، بل وينفذها . ويكاد ينتهى من جهاز السيكلوترون الذى يصنعه ويتوقع ان يفعل بــه شيئا عظيما فى علاج السرطان . وسوف يكون لديه افكار جــديدة اليوم . ان الافكار تنبثق منه وهى تتعلق بالتفــاعل . عليــك اذن أن تحضر الى فنــدق بيلامى فى الســــاعة السابعة والنصــف . فلنستمتع بشىء من الرفاهية قبل أن ننغمس فى التقشف والجفاف

وعلى الفور قال له ستيفن كوســت :

ـ سوف اكون هنـاك فى ذلك الوقت .
ونهض ستيفن كوست ، ولكن بيرتون هول واصلّ حديثه قائلا:
ـ لقد اوقفنى طومبسون يوما وهو فى طريقه الى كاليفورنيا وكان فى ذلك الحين يدرس هناك ، واطلعنى على الخطط التى وسمها لهذا الجهاز الذى يسميه بالسيكلوترون ، والمسالة تتعلق بما اذا كان هذا الجهاز سيفيد فيما نحن مقبلون عليه ، وعلى اية حال فهو يفيد الى الدرجة التى تجعلنا نتتبع طريق النواة المنفردة ، ولسوف نتعرف على اقل قدر من الطاقة نحتاج اليه لتحطيم نواة معينة ، ومن ثم فان كل ما قمنا به من عمل يتعلق بالطاقة الشمسية ، سوف يفيدنا الآن وانى لاراهنك على انك كنت تعجب مما سوف نجنيه من فائدة من عملنا فى الاشعاعات الكونية .
وهنـا قال ستيفن :
ـ لقد علمتنى الا اسال . وأن امضى فى المعرفة من اجل المعرفة ذاتها .
فوافقه بيرتون على ذلك ، وقال :
ـ هذا راى . ولقد ادى بنا ـ او سوف يؤدى بنا ـ الى السر الذى يكمن وراء الشمس ، ووراء الحياة ذاتها . فكر فى هذا جيدا لقد كان يمكن أن تموت البشرية لو لم يكن هـذا السر بل وكانت الشمس قد بردت منذ فترة طويلة لو لم تكن موجودة من اجـل هذا المنبع المقدس للطاقة الحرارية النووية .. الانفجار ، هذا هو السر ، واننا على وشك أن نكتشف أعظم هذه الانفجارات جميعا . وماذا كنا سنفعل بدون العلماء الأوروبيين ؟ لقد عاشوا أجيـالا كثيرة يستخدمون فيها عقولهم المركزة لحل المشكلات المركزة الدقيقة بينما لم يكن لدينا وقت ، كان علينا ان نبنى امة من الاحـراش ، ومن ثم لايجب أن نهمل هؤلاء الاجانب . لقد اطلت ويجب على ان أتوقف عن الوعظ . وكان يمكن ان اكون واعظا ، وانا لا استطيع أن اهـرب مما ورثت . ألم اقل لك كثيرا ان ابى كان من رجـال الدين ؟ .

فقال ستيفن فى حـزم ؟
ــ نعم لقد قلت لى ذلك .
فقال بيرتون هـــول :
وكانت امى ايضا متدينة . فكيف أستطيع أن أهرب من هذا الارث ..
فقال ستيفن كوست وهو يقف بالقرب من الباب .
ــ بالطبع لا تستطيع . وداعا . سوف اراك هذا المساء .
فأخذ ستيفن كوست يفكر فيما بينه وبين نفسه كيف ستتحمل هيلين هذه الخطوة الجديدة . لسوف تسأل الى أين سنمضي . ولن استطيع الاجابة على هذا السؤال . ان بيرتون هول لم يعتبر ذلك شيئا مهما وربما لايعرف الى اين سنمضى . . اذن لا حاجة لأن يطلب هيلين ، فسوف يعرف الكثير هذه الليلة وسوف يكون هناك وقت كاف ليحدثها فيه عندما يعود الى المنزل كذلك يجب أن تتعـود على الانتظار من الآن . ونحى جانبا فكرة أنها لم تتعود على الانتظـــار وانها لن تتعود عليه . ذلك انها قالت :
ــ ان لدى مرضا خطيرا يطلق عليه قلق الروح .
ونحى ايضا هذه الفكرة جانبا . ومضى يسير فى هواء الصباح البـارد . وقد تنبأ الراديو بان المطر سوف يهطل بعد الظهيرة ،وربما بعض الثلوج . وتنفس فى عمق ثم أسرع الخطى . كان منتعشا ، ويشعر بالحيوية والشباب . ثم تذكر فجأة انه لن يذهب الى منزله لتناول الغداء . ومن ثم أمسك بسماعة التليفون ليكلم زوجته .
ــ هيلين ؟.
ــ نفس الشيء بالامس واليوم والى الابد . ان عندى بعض شرائح اللحم للعشاء هذه الليلة .
ــ هيلين ، يجب ان اقول لك .
فقالت وقد تخلت عنها فرحتها :
ــ لن نستطيع ان نشترى البيت ؟ .
ــ ليس بعد ياعزيزتى . ولكن .

ـ ماذا يريد رئيسك الآن ؟.

ـ شيئا على جانب كبير من الأهمية ، وانا لا استطيع أن ارفض.

فصاحت وهي تقول :

ـ بالطبع ان كل شيء مهم بالنسبة لك .

وتركها تولول ، ثم قال :

ثم قال :

ـ هل استقيل من وظيفتي ؟.

ـ لا ياستيفن . لا .

ـ سوف يكون لك بيت ، وانت تعرفين ذلك .

ـ نعم ، اعرف .

ـ هل احبك ؟.

ـ اعتقد ذلك .

ـ هل احبك ؟ .

ـ نعم .

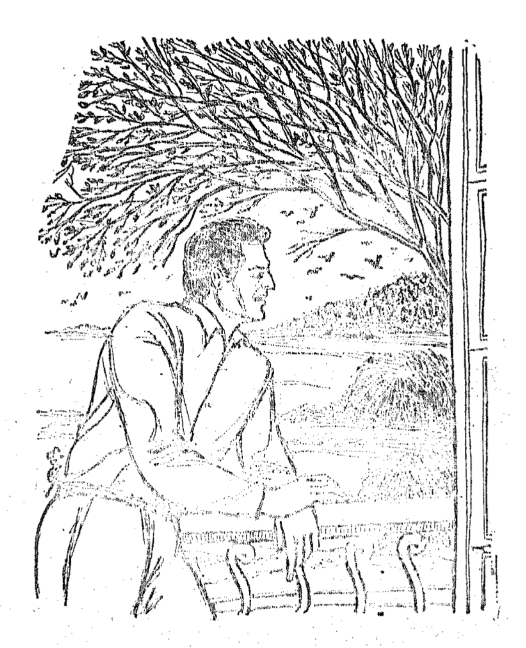
ـ تذكري ذلك جيدا .. على فكرة لن أحضر للعشاء الليلة . ان بيرتون هول يريدني أن اقابل طومبسون .

ووضع السماعة في مكانها بما ستجيب به عليه .

كانت ردهة الفندق مزدحمة بالناس عندما دقت الساعة السابعة والنصف . هذا بالرغم من انها ردهة كبيرة ، تنسدل على يسارها الستائر الشرقية التي يصل ارتفاعها الى اثني عشر قدما . اما في وسط الردهة فكانت النافورة تخرج ينابيعها الصغيرة من المياه الفضية ، وفوق النافورة وفي قفص كبير معلق بخيوط لاتستطيع أن تراها كانت الطيور والعصافير تمرح وتغني . وتطلع مستيقن حوله ولم ير واحدا يعرفه . لقد جاء في موعده بالضبط وهو الآن اول من حضر . ويتذكر كيف ان هيلين صباح ذلك اليوم قد اعربت عن شكواها قائلة :

ـ كم تضيع من الوقت وانت تضبط مواعيدك دائما .

ولكنه لم يكن يستطيع أن يغير نفسه . لقد علمه ابوه ان يكون دقيقا . فالشكر يجب أن يقال قبل ان يؤكل الطعام . وكان هذا



الشخص الطويل — وهو ابوه — ينتظر على رأس المائدة ثلاث مرات في اليوم حتى تتجمع العائلة كلها . ولكن الوقت اصبح جامدا لايتحرك ، مادة يخضع لها الواحد ارادته .

وقد قالت له زوجته هذا الصباح :

— كيف تتحدث عن الوقت .. الا تعتقد فيما قاله اينشتين ؟ انه شيء نسبي .

كانت هذه احدى عاداتها المسلية والمثيرة للضيق الى حد ما .

واخذ ستيفن يفكر وهو واقف امام النافورة ويشاهد العصافير المرحة السعيدة . لقد تعلمت الحديث العلمي ، واستخدمت ذلك

لمضايقته وتحديه ، ونجحت فى ذلك لأنه ، لدهشته الشديدة ، لاحظ أنها تدرك بشكل مدهش المبادىء التى تعلن أنها تحتقرها ، وليس هذا عن طريق استخدام عقلها ، ولكن عن طريق ومضات لما يسمى بالحدس ، وهذه كلمة يمقتها كثيرا .

وترك هذا كله يخرج من عقله ، وركز اهتمامه على العصافير الخضراء وبعض عصافير الكناريا الصفراء . وانطلق أحد عصافير الكناريا وكان من الذكور ، يغنى ، وحفز أكثر من ستة عصافير أخرى على الغناء والتمشى معه فى النغم والصوت . اما الاناث فقد لاحظ انها تظاهرت بعدم الاهتمام . فقد وقفت على الاسلاك الصغيرة داخل وعاء الحبوب واخذت تلتقط طعامها . فهل تسمع أو تهتم ؟ لقد اخذ يعمل فكره حول الاختلاف بين الاجناس . للنظر الى فراشات الفاكهة ـ ولم يكن ستيفن من علماء [illegible] ناقش هذا الموضوع فى احدى الامسيات مع ستانتون عالم الأحياء الكبير .

قال ستانتون :

ـ قد تكون الاهمية الوحيدة للذكر هى أنه اداة للبقاء .

واعترضت هيلين وقالت :

ـ فكرة رهيبة .

ولكن عينيها كانتا تتطلعان فى حب استطلاع حتى انها قالت :

ـ استمر ..

فواصل ستانتون حديثه قائلا :

ـ انى أعمل بالارقيات وقد وجدت أنه عندما ينقص الطعام ، ويصبح الأ، ر يتعلق بالبقاء ، الشىء الذى يعنى الصراع ، فان الكثير من الذكور يولدون . ولكن اذا ما ازدادت مؤن الطعام ومن ثم قلت الحاجة الى الصراع ، فانه يولد الكثير من الاناث .

وسالت هيلين :

ـ ماذا يعنى ذلك ؟.

فقال ستانتون وهو يضحك :

ـ انت التى تقولين لى »

وواصل ستيفن تفكيره ... ليس هناك قلة فى الطعام فى هذا الفندق . فهاهى أوعية الحبوب ممتلئة ، وهنـــاك بعض أوراق الخس ، وبعض البيض الملون المقطع يقدم غذاء لهذه الاناث . وكانت ما تزال تتخم حويصلاتها بالأكل ، غير عابئة بالغنـــاء الذى كانت الذكور تشدو به .

ولكن صوت بيرتون هول الأجش أخرجه من هذا العالم الكبير:

ـ أنت هنا ـ يا ستيف ـ هل انتظرت مدة طويلة ؟ . ها هو طومبسون قادم من كاليفورنيا ـ تومى ـ انك تعرف ستيف ـ انه مشهور بالأشعة الكونية الخ .. وهو أفضل شاب عندى ».

ثم نظر الى ستيفن وقال :

ـ لقد جئت بأول مساعد لى ».

بجين ايرل :

ـ هيا لقد حجزت مائدة ».

وعلى الفور كان بيرتون هول فى منتصف الردهة . وصـــافح ستيفن طومبسون نعم انه ليتذكر هذا الشخص النحيف الصغير . ولكن من تكون جين ايرل هذه ؟ انه لم ير هذه الفتاة من قبل . لقد كانت شابة صغيرة . وبما فى الثانية والعشرين من عمرها ، وربما تكون جميلة انه ليس على يقين من ذلك ، ولكن المؤكد انها أنيقـــة فى ردائها الاسود وقبعتها الصغيرة البيضاء . كانت هـــادئة وكان صوتها واضحا . وذهب اليها حتى كان على بعد خطوة منها ثم قال :

ـ انني لم اقابلك من قبل ، هل قابلتك ؟.

فقـــالت :

ـ لقد قدمت الى هنا من نيويورك منذ أقل من شهر .. ولم يقابلنى احد .

وقرر فيما بينه وبين نفسه انها فتاة رقيقـــة وهادئة وليست لعوبا وما ان جلسوا جميعا حول المائدة حتى نسيها ، بالرغم من انها كانت فى مواجهته بين بيرتون هول وطومبسون .

وقال بيرتون هول :

ـ لا تتحدثوا قبل ان تقرروا ماذا ستأكلون .. انني دائما افضل اللحوم المشوية .. وانتم ايضا .. اليس كذلك ؟ اذن أربعـــة من اللحوم المشوية وسلطة خضراء وقهوة .. والآن ماذا أحــرزت من تقدم ياطومبسون باختراعك الذى يحطم الذرة ؟ ان السيكلوترون عبارة عن محطم ذى طاقة عالية للذرة بالطبع وذرات الديوترونات والبروتونات والالفا ما هى الا مقذوفات أما الذرات الأخرى فتتحول الى نظائر مشعة .. شيء رائع .. رائع جدا .

وقال طومبسون فى صوت ضعيف جاف :

ـ هناك مساويء ان النظائر يمكن أن تحطم الأنسجة الطبيعية وهذا يعنى اننا لا نستطيع أن ندرس الكائنات الصغيرة أو الخلايا .

فأجاب بيرتون هول :

ـ احب دائما أن اتحدث عن المزايا ، فالاشعاعات عندما تتـأين يمكن أن تحطم الأنسجة الضعيفة الضامرة .

ومضت المناقشة على هذا النحو العادى . ولم تقل جين ايرل شيئا . انها امرأة رائعة صامتة يمكن تجاهلها عندما يتناقش الرجال فى سعادة . وانغمسوا جميعا فى عالمهم ، كرجال علم ، كل منهم اقرب الى الآخر أكثر منه الى زوجتـــــه وأولاده ، لغتهم سرية ، وعقولهم تنتظمها نغمة موحدة .

وتقدمت من الجميع فتاة شقراء مثيرة نصف عارية ، لتعـرض عليهم بعض المنتجات . ورد بيرتون هول على ابتسامتها بابتســامة واشترى منها بعض ما معها . أما الآخرون فقد رفضوا أن يشتروا شيئا . وجلس الجميع فى صمت واخذوا يشاهدون العرض الذى بدأ على المسرح الصغير المقام فى نهاية حجرة الطعام . وظهــرت ست فتيات فى أردية فضية ضيقة وعلى شـــفاههن ابتسامات خفيفة .

وتطلع اليهن طومبسون ، ثم نظر بعيدا . اما ستيفن فكان يحتسى قهوته على مهل ، وهو يفكر فى سخف مثل هذا الترفيه، بينما هناك فى معمله اشياء واختراعات مثيره ، اما بيرتون هول فقد كان يحملق فى هذه الفتيات . وشىء من السخرية ينطلق من عينيه الخضراوين ثم قال ، وهو يكاد يحدث نفسه :

ـ ماذا يعنى عندما نستخدم حقا الانتاج الهائل لاستخراج هذه الطاقة من الذرة على نطاق واسع لنعطى العالم الحرارة والضوء ».

فرد عليه طومبسون بقوله :

ـ او نقضى عليه .

وعلى الفور بادره بيرتون هول بقوله :

ـ انت دائما متشائم .

ثم تساءل ستيفن وقد رفع صوته ليطغى على الموسيقى الصارخة التى تصاحب الفتيات الراقصات :

ـ هل تفعل هذه اللجنة التى تنعقد فى واشنطون شيئا .

فأجابه طومبسون :

ـ ان كل ما يجرى سر بالطبع . ولكن لو كان حدث شىء هام لسمعنا عنه . وانى لأرتاب فى انهم ينظرون الى الامر بشكل جدى، ويجب علينا ان نفعل ذلك اذا صدقنا ما قاله ريجنى .

وضحك بيرتون هول وقال :

ـ هل قال لك شيئا أيضا ؟ ثم لأى شىء سنستخدم الطاقة اذن ؟ هل قال لك ؟ .

فقال ستيفن :

ـ اننا نستطيع أن نسير بها السفن ، او نقسم بها اليورانيوم ٢٣٥ .

فردد بيرتون هول كلام ستيفن وقال :

ـ لنسير بها السفن ! حسنا ، اخبره بكل شىء يا طومبسون ».

وقطع حديثهم تصفيق حاد ، فقد انتهت الرقصة واخذت

الفتيات ينطلقن مبتعدات عن المسرح ، وحل محلهن ثلاثة من الاكروبات .

وقال طومبسون :

ــ اننا نعرف أن النازيين يعملون بنشاط وجد ، ولديهم رجال أكفاء ، وقد أحرزوا تقدما كبيرا في فصل نوعى اليورانيوم ، وصدقوني انهم لاينوون استخدامهما من أجل السلام .

وفجأة انبعث صوت جين الهادىء وقالت :

ــ هل يجب أن نناقش هذه الموضوعات هنا .

فتوقف الرجال عن مناقشاتهم على الفور ، وقال لها بيرتون هول :

ــ اشكرك يا جين . عليك أن تذكرينا دائما بذلك . اذن لنتقابل في منزلي غدا مساء ، فسوف يعود طومبسون الى كاليفورنيا بعد غد .

وساد الصمت ، وأخذ الجميع يزدردون طعامهم بسرعة واهتمام . ثم احتسى الجميع القهوة ، وأخذوا يشقون طريقهم خارج الردهة ، ولكن ستيفن توقف قليلا عند قفص العصافير ، وشغل بها برهة ، كان هناك زوج من العصافير قد بنى عشا بين فرعين من فروع شجرة صناعية ، وكانت الأنثى في حالة من الضيق وترفض على مايبدو أن تجلس في العش حيث توجد بيضتان . اما الذكر فقد كان نحيفا ومتفطرسا ، وكان يصرخ ويزمجر ولكن بلا فائدة وقفزت الانثى العنيدة الى حيث توجد الحبوب ، وأخذت تبعثرها ذات اليمين ، وذات اليسار ، وأخيرا جلس الذكر الثائر المتضايق ، وكان ما يزال يزمجر ، على البيض .

وسمع ستيفن بجواره من يقول :

ــ ياله من تعس ...

فتحول ببصره ليجد ــ وهو في دهشة بالغة ــ عينين

سوداوين فى مستوى بصره تقريبا ترنوان اليه . كانت جين ايرل تقف بجانبه ، طويلة ونحيفة وهادئة . وقال :
ـ حقا انه لشيء سخيف ان اقف هكذا ، ولكن هناك شيئا جذابا فى هذه المخلوقات .
فقالت :
ـ انى احبها ، ويمكن أن اشاهدها لمدة ساعة ، بل لايضيرنى أن أقضى بعض يوم فى هذه المشاهدة .
وقال وهو يفكر :
ـ انى لاعجب كيف يحدث ذلك ؟.
فقالت :
ـ انها تحيا حياتها الخاصة البسيطة فى جد واهتمام ، بين كل هذا الضوء والبريق .
وقال لنفسه ان صوتها جميل دافيء .. وهذا هو الصوت الذى يجب أن تتمتع به كل امرأة .. رقيق يتكسر فى عذوبة .
وعلى الفور سألها ، وقد نسى الطيور :
ـ كيف اصبحت عالمة ؟.
وضحكت :
ـ انى مهتمة فحسب .. وكنت دائما أهتم بالعلوم .
ـ فى العلوم !.
ـ اذا كان هذا هو ما تريد أن تسمى به اللهفة وحب الاستطلاع اللذين يدفعان الانسان ويسيرانه .
وضحكت واشاحت بهزة من يدها التى يغطيها القفاز . وابعد عينيه عن قدها الرشيق . وكانت الكناريا الانثى فى القفص قد لانت ورقت ، فاقتربت من العش واخذت تنقر فى رفيقها . فنهض وقفز مبتعدا عنها بثلاث بوصات ، وحملق فيها بعنف من احدى عينيه ثم بالاخرى ، بينما كانت تستقر على البيض فى هدوء .

وحينئذ نفش ريشه وانطلق فى اغنية تحمل معنى الانتصار »
ومضى ستيفن . من الذى سينتصر ؟ انه لم يستطع ان يقرر .

وفى مساء اليوم التالى اعدت « مولى هول » مرشحا من القهوة الساخنة على المائدة فى حجرة المعيشة ، وعددا كبيرا من الاقداح والاطباق . وكذلك أعدت الساندويتشات والفطائر ومفارش الورق الوردية اللون . فالعلماء دائما جوعى – نحافى .. ان هناك حفلا الليلة من أجل «طومبسون» . وسوف يحضر الجميع ، ومعهم زوجاتهم وكذلك جين ايرل . ان بيرتون هول بالنسبة لها افضل زوج فى العالم . ولكنه ما يزال انيقا حتى انها لتضطر ان تراقبه . انها تذهب معه فى كل مكان ، فقط لتحميه . وهى تعرف واجبها . فالعلماء دائما مشغولون تائهون . وهم لا يعرفون متى تتودد اليهم المرأة ، وعندما يعرفون يشعرون بالسرور العميق . ويمكن خداع بيرتون بسهولة . فهو يصدق كل شىء تقوله له اية امرأة ، عندما يراها . ومضت الى السلم . ونادت بيرتون هول فسمعت [illegible] . فقالت :

– سوف اصعد اليك .. انني على ثقة من انني وضعته فى الدرج الذى فيه قمصانك الاخرى .

كان بيرتون هول يبحث عن قميصه ذى الخطوط الزرقاء المفضل لديه . ياله من طفل . ماذا كان سيفعل بدونها ! وفجأة دق جرس الباب واحتارت ماذا تفعل . ماذا يجب أن تفعل أولا !

وصرخت وهى تسرع الى الباب :

– انتظر لحظة يا بيرت .

انه لابد أن يكون أحد العلماء قد جاء فى موعده .. وهم دائما كذلك . وفتحت الباب لتـرى « ايرنست وينر » .. المانى .. اليس كذلك ، أو ربما يكون مجريا ؟ انها لا تستطيع أن تميزهم . وقالت له فى عطف :

– تفضل بالدخول ، سوف يحضر بيرت حالا .

واخذت منه قبعته التى هى عبارة عن حطام قبعة ، ان هـؤلاء الاجانب ليس معهم نقود .

وانهى ارتداء ملابسه وتطلع الى المرآة ليسوى شعره الاحمر الخشن . ودق جرس الباب مرة اخرى فاسرع يهبط الدرج وفتح الباب ، كان جميعهم قد حضر .. اخوته فى العلم ، وكان يحييهم ، وكانت زوجاتهم تسير وراءهم .

فصاح :

ــ ادخلوا تعالوا ايها الزملاء .. هناك قهوة وشراب .

وانضم اليهم وهم فى حجرة المعيشة . وزوجاتهم تتبعهم .. ولكن جين ايرل كانت تسير وحيدة هادئة .

وتمتمت هيلين كوست التى كانت تتبع زوجها ستيفن ، فى اذنه اليمنى :

ــ ان هذه تشبه حفلة لعب الورق .. ومن تكون هذه الفتاة السمراء الطويلة ؟ هل تعرفها ؟.

فقال ستيفن :

ــ جين ايرل .. ها هو «وينر» انى اريد ان اساله عن شىء .

وترك زوجته وجلب كرسيا الى جانب «وينـــر» . وابتسم الرجل المجرى ، ومد يده اليمنى ، ولمس يد ستيفن وقال :

ــ ما اقوى يدك .

وضحك ستيفن واقترب بكرسيه اكثر وقال :

ــ هل قرات التقرير الذى جاء من «فون هالبان» و«جولبوت» و « كوارسكى » ؟ .

فأومأ وينر ثم همس :

ــ ان هذه هى الخطوة الاولى ولكنها لا تبشر بالكثير .

واســـتمر فى كلامه ولـــكن مولى كانت تحث الزوجات على الذهاب الى الشرفة . واخذت كل منهن وهى خارجة تنظر الى جين

ايرل التى كانت تجلس فى كرسى كبير اخضر اللون يتنـاقض مع ردائها البنى المائل للصفرة . وكانت تبتسم لهن فى رقة كانهـا تعتذر .

ونهض بيرتون هول وذهب الى جين ايرل ودفع بكرسيها الى دائرة الرجال وقال :

ـ تقدمى .. انت تعرفين اننا لا نستطيع أن نستغنى عنك ؟ هل تريدين أن تكتبى ملاحظاتنا ونحن نتحدث ؟

ـ بالطبع ...

ثم قامت من مقعدها الوثير واجلست نفسها على كرسى عادى الى المائدة . ومن حقيبتها البنية اللون اخرجت قلما وكراسـة صغيرة ثم ازاحت قبعتها الصغيرة من فوق راسها . وكان شعرها يلمع بلون برونزى اسود فى ضوء المصباح اما بشرتها ـ وهـذا ما لاحظه ستيفن فجاة ـ فكانت بيضاء كالقشدة .

وقال بيرتون :

ـ ماذا نعرف حقا عن الألمان ؟ وما الذى حصلوا عليه ؟

فأجاب زيجنى فى صوت أجش :

ـ « هان » ان لديهم هان .. وهو يساوى عشرة من أمثالنا

فرد عليه بيرتون . انني لا اقبل ذلك ، ثم ماذا يفعل هان ؟ هـل يعرف اى واحد ماذا يفعل بالضبط ؟ .

وسعل « وينر » وقد وضع يده أمام فمه ثم أردف :

ـ معذرة .. اننى اعتقد ان مثل هذه الأشياء ليست هامة . ما يفعله واحد وما يفعله الآخر . اننا فى سباق .. كذلك فان كل واحد يفعل شيئا لنصل الى الهدف . ولكن ما هو الهـدف ؟ انه الانقسام ـ انقسام النواة ـ فى تفاعل مستمر . واننى أرى اننا على وشك ان نكتشف ذلك . فاذا أمكن فصل اليورانيوم ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨ فسوف نصل الى الهدف .

وانبرى طومبسون يقول :
ـ موافق .. فالقوة المتفجرة ستكون اقوى مائة مليون مرة من ت.ن.ت . ولكنها أكثر تعقيدا مما يعتقد فيرمى .

فقال زيجنى :
ـ ان كل شيء بسيط وسهل اذا وجد عقل مثل عقل فيرمى »

واحتدمت المناقشة وتطورت .. كما هو متوقع .. الى جدل علمى .. وظهر الاهتمام والجد على الوجوه . ولـــكن جين كانت تعبث فى حقيبتها لتخرج نسخة من خطاب وصلها من صديق لها فى لندن . وقد جاء فى هذا الخطاب :
ـ انه ليبدو من الممكن ان نواة اليورانيوم ليست ذات شــكل ثابت تماما ، وقد تقسم نفسها .. بعد استغلال النيوترون .. الى نواتين صغيرتين متساويتين .

وتطلعت اليهم ورات عينى ستيفن مركزتين عليها . ثم قالت :
ـ اليس هذا هو الانقسام . وهم يقولون فى الخطـــاب ان العناصر الناتجة عن ذلك مشعة .

وكان الجميع ينصت فى اهتمام . ولكن « وينر » انبرى بعد تردد ليقول :
ـ ليس هناك اهمية فى ذلك ما لم يؤد احد الانفجارات الى الآخر .

وصرخ بيرتون هول موجها كلامه الى طومبسون :
ـ الا تعرف اننا لا نملك ما يكفى من اليورانيوم كما اننا لا نملك من الماء ما يكفى الثقيل . والله ـ او الشيطان ـ يعرف وحده ماذا يفعل الألمان بالماء الثقيل فى النرويج ؟ . ثم ماذا عما نفعله الروس واليابان ؟ .

ولم يكمل اذ سمع زوجته تناديه .. تساله عما اذا كانوا على استعداد لتناول المرطبات .

وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة .. فأوما فى عنف ووثب عبر الحجرة ووقف وظهره الى الباب .

ـ تعرفون أيها الزملاء ان هذا سرى جدا .. ويجب أن نفكر فيما نفعل .

فقال ستيفن .. يجب ان نبلغ الحكومة عن مخاوفنا .

فأردف طومبسون . لاريب في ذلك .. ولكن الا ننتظر حتى ينتهى المؤتمر ؟ فسوف يكون لدينا حينئذ الكثير الذى نقوله ذلك لاننا سنعرف الكثير .

فقال بيرتون :

ـ ليس من الورق الذى يقرأ علينا .

فاقترح وينر :

ـ ولكن يجب ان نعقد مباحثات خاصة . اما عن نفسى فسوف اتحدث مع بعض العلماء الاجانب . ويمكن أن أجد بعضهم . وسوف يبلغوننى بأسرار يريدون ان يعرفها الامريكيون .

ووافق بيرتون بقوله :

ـ بعد المؤتمر .

وكانت زوجته تنقر على الزجاج وراء ظهـــره الذى يرتكن الى الباب .

وفتح الباب ودخلت النسوة . وتخلل الجو المتوتر الذى كانوا فيه وتحول الى اصوات وكلمات وحركات ورائحة القهوة الساخنة .

وبعد ساعة ، وبينما كان ستيفن يقود عربته عائدا الى البيت وبجواره زوجته فى معطفها سمع زوجته تتمتم وهى نصف نائمة !

ـ ماذا فى هذه المرأة لا أتمتع به انا ؟

فسألها وهو فى شبه غيبوبة !

ـ اية امرأة ؟

ـ اذا لم تكن تذكر فسوف اذكرك . ثم راحت فى النوم مرة اخرى .

وفى الصباح استيقظ من نومه مبكرا . وكان ذهنه صافيا ، وكانت الافكار تتابع الواحدة بعد الأخرى . كان يفكر فى العالم اليابانى الذى اجبر الجميع على احترامه ، والذى يعمل فى نظريات تتعلق بالعنصر الجديد فى نواة الذرة . ثم راح فكره الى العالم النمسوى وفى كل ما يقوم به هؤلاء جميعا . كان فكره يتجول فى سبحاته وحده بينما كان جسده ـ بسبب العادة ـ يقوم بمهامه الضرورية . فقام بتنظيف أسنانه ، واستمتع بحمام الصباح ،وحلق ذقنه واخذ يرتدى الملابس النظيفة التى وجدها معدة له على الكرسى ، ثم عقد ربطة عنقه . وبعد أن ارتدى ملابسه وتأنق ،هبط الدرج الى حجرة الطعام . واستطاع ، من بعد ، أن يشم رائحة القهوة ، وعندما وجد القدح مليئا اخذ يحتسيه . كذلك شرب ـ وهو لا يعى ما حوله ـ كوب عصير البرتقال ، ثم التهم قطعة من اللحم وبعض البيض وقطعة من الخبز الناشف وقدحا آخر من القهوة . وتقبل جسمه هذا كله وتشربه وامتصه . وبعد أن تغذى واستدفأ نهض من كرسيه ، ووضعه فى مكانه ، وسار عبر الحجرة الى الصالة ووجد قبعته ومعطفه . واستطاع فى هذه اللحظة فقط ان يتبين انه تناول وجبة كاملة طيبة . وتردد برهة ثم عاد الى الباب وتطلع عبر الحجرة . وتملكته العادة مرة اخرى ـ عادة طفل مهذب وصوت امه يعلمه ـ يجب أن تقول دائما أشكرك يا سيدتى .

وقال :

ـ اشكرك .. أشكرك جدا .. لقد استمتعت بالوجبة .

وذهل اذ سمع ضحكات متصلة ، صافية وساخرة ، عبارة عن مزيج من الفرحة والتأنيب :

ـ ستيفن .. ماذا دهاك ؟ .

وتنبه .. واستعاد وعيه .. لقد كان فى مواجهة زوجته هيلين التى يتناول فطوره معها كل يوم .

وسألته :

ـ اتعرف أين انت ؟.
ـ بالطبع اعرف .
ـ قل لى أين انت ؟.
وتلفت في انحاء الحجرة وتعرف عليها؟ :
ـ انى فى المنزل .. فاين ساكون ؟.
ـ اذن لماذا تتوقف على باب بيتك وتشكرنى على الطعام .. !! تذكر انك رايتنى من قبل ؟.

وتنهد وشعر بالخجل ثم ضحك ..
ـ الا تغفرين لى ؟ .
ـ ستيفن !.
ـ لا اعرف لماذا تزوجتنى ؟ .
ـ كنت اريد .. هذا شيء فظيع .
ـ امتاكدة أنت ؟ .
ـ كيف اتاكد ؟!.
وارتمت بين ذراعيه ثم انسحبت منهما ، وهى تصلح ربطـــة عنقه ، وتفرق شعره بسبابتها فى رقة ..
وقال متمتما :
ـ اكره أن اتركك ..
فقالت :
ـ ولكن يجب أن تتركنى .. اننى أعرف ذلك جيدا .
وابتسمت له ابتسامتها الرائعة الجميلة .

***

بعد ستة شهور وفى منتصف الصف السادس فى قاعـــة المؤتمرات كانت جين ايرل تجلس محشورة بين اثنين ، يتصـــببان عرقا ، من الاوربيين اللذين لم يعتادا على الجو الحار فى امريكا ، وكان بيرتون هول يقف على المنصة يتكلم ويقول :

ــ ان العمل بالنيوترونات البطيئـة سـوف يسبب انقسام اليورانيوم ٢٣٥ والمشكلة هى ان اليورانيوم ٢٣٥ أقل من واحد فى المائة من أية عينة من اليورانيوم العادى . ومع ذلك فاننـا نعرف الآن ، والفضل لتكهنات « فيرمى » ، انه من المحتمـل أن يمتص اليورانيوم ٢٣٨ ــ وهو كثير ــ بعض النيوترونات البطيئة . وعلاوة على ذلك فان ذرة واحدة من كل مائة واربعين فى اليورانيوم ٢٣٨ هى عبارة عن يورانيوم ٢٣٥ . ونحن نعرف ان اليـورانيوم ٢٣٥ سوف ينقسم بفعل النيوترونات السريعة وكذلك بفعل النيوترونات البطيئة . ولست بحاجة لان أقول لزملائى العلماء ما يعنيه هذا . فان عقولكم لتسبق عقلى بمراحل . نعم .. سوف نوجد الطـاقة الذرية من انقسام اليورانيوم ٢٣٥ بالنيوترونات البطيئـة ، أو نوجد تفاعلا متسلسلا بالنيوترونات السريعة . وسوف يؤدى الأمر الثانى الى انفجار والسؤال الآن هل يمكن السيطرة على هـذه الطاقة المتفجرة ؟.

وحينئذ سمعت جين بجانبها صرخـة الم مكتومة . واختطف الرجل الأصلع منديله من جيبه واخذ يجفف عرقه . ومال لـكى يتحدث مع زميله الذى يجلس الى يسارها وقال :

ــ هانز .. ماذا يجب أن نفعل مع هؤلاء الأمريكيين وهم يذيعون أسرارهم فى كل مكان ؟.

ــ ربما أصبح الوقت متأخرا الآن .

واعتذر كل منهما لجين .. ولكنها قالت :

ــ انى مهتمة بما قلتما . هل تعتقدان أنه لا يجب أن تكـون هناك مثل هذه المؤتمرات كتلك التى نعقدها الآن ؟.

ــ بكل تأكيد . لا يجب أن يكون هناك مزيد من هذه المؤتمرات .. انها خطيرة .

ــ اؤكد لك يا آنسة أن الالمان يعكفون فى جد بالغ على صـنع الأسلحة الذرية . فلماذا تجاهلوا السويد وذهبوا الى النرويج ؟ ان النرويج هى التى لديها الماء الثقيل الذى يحتاجونه ..

وما ان فرغ بيرتون هول من حديثه حتى أسرعت اليــــنه .. وعندما رآها على هذا النحو من اللهفة قال لها :
ــ ماذا هنالك ؟.

ــ حاولت أن ألحق بك قبل أن تهرب.لدي شيء أريد أن أقوله لك قد يكون مهما وقد لا يكون هو مهم ..
ــ تعالى لنتناول شيئا من الشراب ..

وتبعته في هذا الجو الخريفي البارد .. الذي عدلت منه في ذلك اليوم أشعة الشمس الساطعة . وجذب بيرتون نفسا عميقا ثم آخر .. وأخيرا قال :

ــ انني أحب زملائي العلماء .. انني احبهم بعمق ولـــكن ما أستخفهم عندما يلقون الخطب ..

ــ انني لا اعرف لم تفعلون ذلك .. انكم جميعا سواء . وانت تعرف ذلك ، وانتم لا تخدعون احدا ولا حتى انفسكم .

ونظر اليها من قامته الطويلة ولمعت عيناه الخضراوان بومضة مباغتة ثم سألها :
ــ متى ستستسلمين ؟.
ولكنها تغاضت عن سؤاله هذا وقالت :
ــ ان ما اريد أن أقوله لك ..
فقاطعها بقوله :

ــ ان ما اريد أن أقوله لك يا فتاتي الطويلة هو انني اريد أن أنام معك .

ولم تأبه .. ولم تحاول أن تسأل نفسها هل هو جاد ام لا .. انها تريد أن تقع في الحب ولكنها لم تحب بيرتون هول . وتجاهلت نظرته الملتهبة واستطردت :

ــ كان يجلس بجانبي اثنان من العلماء الأجانب ولم يتفقا معك لانك كنت تناقش أمورا يعتقدان انه لا يجب ان تناقش هنا . واشعر

بأنه يجب على أن ابلغك بذلك ، بالرغم من انك تعرف ما هي وجهة نظرهما .. من اذنك .. لدى موعد على الغداء .

ـ مع من ؟.

ـ ليس هذا من شأنك .

قالتها في رقة ثم تركته بغتة هناك في منتصف الممر .

ودخلت المطعم وهي تحس بشعور غامض بالذنب . فقد كان آباؤها يصرون على أن الكذب من الخطايا السبع ولم يكن لديها أى موعد سوى الأمل .. الذى انكرته .. في ان يكون «ستيفن كوست» هناك . فقد كان هناك في يوم من الأيام قبل أن تقابله . وكانت قد حضرت في ذلك اليوم مع « توماس فريتز » العالم الألماني للكيمياء الحيوية .

وسألها « توماس فريتز » :

ـ هل تعرفين هذا الرجل الجالس هناك ؟.

فنظرت ثم هزت رأسها . فأردف :

ـ انه ستيفن كوست .. وأرجوك الا تنظرى الى هاتين العينين لأنك ستجعلينني اشعر بالغيرة .. ولا أعرف ماذا سأفعل عندما اشعر بالغيرة لأنني حتى الآن لم أجرب هذه العاطفة .

وابتسمت حينئذ ونظرت طائعة ، وهي دائما تحذر مثل هذا الحديث من اى عالم ، انهم مثل الاطفال . وهي لم تجرب الحب . ومع ذلك لو لم تقابل «رامان» هل كانت ستصبح عالمة ؟ سؤال لا يمكن الاجابة عليه .

وأجلست نفسها الآن الى نفس المائدة الصغيرة التي رأت منها لاول مرة ستيفن كوست وكان الوقت ظهرا ، وكان المكان نصف خال . ولم يكن هناك . وخلعت قفازها ونظرت الى قائمة الطعام . كانت سعيدة لأنه ليس هناك . فلديها الكثير الذى تفكر فيه الآن دون تعقيدات اية عاطفة جديدة . انها لا تريد ان تتورط .. كانت هذه اهم ضرورة لديها .

وقالت للجرسون :
ـ سمك وسلطة خضراء .. واحضر لى قهوة الآن .
ثم اخرجت من حقيبتها كتابا بعنوان « مدام كورى .. تاريخ حياة » وبدات تقرأ فيه .. وبعد قليل سمعت صوتا يقول :
ـ هل اجلس هنا ؟.
وتركت الصفحة التى كانت تطلع وشك ان تقلبها ثم اشرأبت بنظرها لتجد ستيفن كوست واقفا يتطلع اليها عبر المائدة . فقالت :
ـ تفضل ..
ثم اغلقت الكتاب واستطردت :
ـ عادة ما اقرأ وانا آكل ، اننى سعيدة اذ أجد احدا اتحدث اليه .
فرد عليها بقوله :
ـ طالما اننا سنعمل معا .. فمن الواجب أن نتعرف .. هل امرت باحضار الطعام .
فاجابت بالايجاب .. وحينئذ نادى الجرسون وطلب منه أن يحضر بعض اللحوم المشوية مع بعض البطاطس المحمرة وفاصوليا خضراء وقهوة .
وشعرت بالارتياح .. فالآن وهو يجلس امامها ، ويمكنها أن تتطلع اليه ، لم تعد تشعر بأى احساس نحوه . انه جميل الطلعة ... جميل الطلعة بكل تأكيد ، وهى تحب العيون السوداء والشعر الأسود والبشرة البنية الرقيقة . وربما كان السبب فى ذلك انها قضت طفولتها فى الهند ، ولكن الالتصاق الخطير الذى شعرت به نحوه فى افكارها قد ارتعد . لقد كانت حذرة . انه عالم شاب .. موهوب جدا .. وهى تعرف ذلك .. وقد قالوا لها جميعا يجب ان تشاهدى ستيفن كوست الشاب .. وقد اصر بيرتون هول على ان يعمل فى المشروع . ولكنها لا تشعر بأى شوق لأن تلمس يديه المتشابكتين على المائدة وهو يرتكن عليها لينظر اليها ..

وقال لها :

ــ انني سعيد لأنك ستكونين معنا حيثما ذهبنا .

كانت ابتسامته صريحة رائقة ، وكانت أسنانه بيضاء . ثم اضاف :

ــ أود أن تتعرفي على زوجتي هيلين . وآمل أن تصبحا صديقتين .

وجذبت نفسا عميقا .. لا .. انها في مأمن .. ثم قالت :

ــ انني افضل أن أعرفها أكثر .

ثم ابعدت الزهرية التي تحتوي على ورود حمراء الى جانب من المائدة . واضافت :

ــ من بين مساوىء كوني عالمة انه ليس لي الا قليل من الصديقات .

فسألها في لهفة :

ــ أخبريني .. انني جد شغوف .. كيف أصبحت عالمة ؟ انه شيء غير عادي بالنسبة لامرأة ان ..

ــ يبدو كذلك .

وسقطت من احدى الورود بعض أوراقها . وسحقتها بين أصابعها ولكن لم يكن لها أريج .

واستطردت تحكي قصتها :

ــ لقد ترعرعت في الهند .. كان ابي مهندسا هناك يعمل في القوة الهيدروليكية . وذهبت الى مدرسة انجليزية ولكن مدرسي المفضل كان شابا انجليزيا هنديا قدم لتوه من اكسفورد . وكان يدرس لنا العلوم . واعتقد انني كنت ذات دالة عليه . وكانت معظم الفتيات كذلك .. ولكن هذا على الأقل جعلني أعمل بجد من أجله . وفجأة تبينت أنني احببت العلوم بغض النظر عنه . وانتهى بي هذا الأمر الى دراسة الطبيعيات . ودرستها في « رادكليف » ، وبعد ذلك مع « فيرمي » في كولومبيا . وقد كان هو وبيرتون هول

صديقين .. واستعارني بيرتون هول لكي أعمل في المشروع هنا في شيكاغو .. حكاية بسيطة كما ترى .

فقال :

ـ انني أرى انك لست بسيطة .

وابتسمت له في حياء وقالت :

ـ كلنا كذلك .. اذا شعرت نفسي في الاخوة النبيلة .

وفجأة احمر ستيفن خجلا وهو يقول معترفا :

ـ اننا أصحاب عقلية منفردة . اتعرفين ماذا فعلت هذا الصباح ؟ لقد كنت افكر في معادلة عندما كنت ارتدي ملابسي ونسيت كلية اين انا .. وهبطت الدرج ، وتناولت فطوري ، ثم شكرت زوجتي على هذه الوجبة الطيبة وقد انطبع في ذهني انني سوف افطر في مكان ما . ومن حسن الحظ انها فهمت كل شيء .

وشاركته ضحكته وشعرت بغصة . الزوجة التي تفهم كل شيء . ثم قالت في هدوء وجد :

ـ انك محظوظ .. فان كل النساء لا يستطعن ذلك . وليس هذا من اليسير مالم يرتبط الواحد الى الجماعة التي حوله .

وقال ستيفن :

ـ انك اول امرأة عالمة اقابلها في حياتي .. فهل انت تختلفين عنا لأنك مجرد امرأة ؟ وهل يهم الجنس الى هذه الدرجة حتى في العلم ؟ .

فأجابت :

ـ سوف اترك لك هذا الامر لتكتشفه .

ورأت في عينيه اعجابا حذرا فابتسمت له على غير ارادتها وظهر الخرسون ومعه الطعام .. وبدآ يأكلان .. وفجأة قال ستيفن

ـ شيء واحد يضايقني .

ـ ما هو ؟ .

ــ انني ضد السماح باستخدام هذه ... هذه الاكتشافات الذرية ..

ــ أعرف .. لا داعي لأن تذكر الكلمة كلها .

ــ في الحرب .

ــ هل انت من دعاة السلم ؟

ــ لا لست كذلك .. وهذا هو الشيء الغريب . انني في الحقيقة واقعي . لقد تعلمت الملاكمة في يوم من الأيام في السر .

كان أبي من رجال الدين . انني لا أريد لهذه القوة الجديدة ان تستخدم في الدمار الوحشي . انني أريد أن أخصص نصيبي فيها للتنوير ولخير البشرية .

ــ ولكن لم تخش أن تقول انك تريد الخير ولا تريد الشر ؟.

فتمتم قائلا وهو يهجم على قطعة اللحم المشوي أمامه مرة أخرى :

ــ تبدو شيئا كبيرا طنانا .

ــ ليست شيئا طنانا .. انها امانة .

ــ اعتقد انك على حق . ولكننا هنا في امريكا نخجل اذابدونا اننا نعمل الخير ..

ان هناك كثيرين من المدعين .

ــ لست مدعية .. وانت تعرف ذلك . وهكذا الحال بالنسبة لي .

ومرة أخرى زحف الدفء الخطير على قلبها . وتطلع اليها ستيفن وعندما تلاقت عيناها بعينيه تاه عقلها .. وقالت :

ــ لا ادري كيف اقول لك ماذا يعني أن يجد الانسان في شخص مثلك ــ عالما ــ ويدعو للخير .. ويجرؤ أن يقول ما يشعر به كانسان .

وشعرت انها تحدثت كثيرا .. وشعر ستيفن بالخجل . وقال:

ــ ليس هذا نادرا جدا كما تعتقدين .

وسكتت ليستقر الصمت بينهما كستارة . ويجب عليه هو أن يقوم بالخطوة التالية .. فسألها بعد لحظة :

ـ هل قرأت تقرير «ماكميلان» و «ابلسون» ؟ ..

فقــالت :

ـ نعم .. العنصر ٩٣ ولكن الشيء المهم هو أن هذا الاكتشاف واحد من سلسلة الاكتشافات .. لسوف نكشف عن عنصر بعد آخر في عملية سريعة من الخلق في السنوات العشر القادمة . لقد فتحنا صندوقا من الأسرار .

وشعر كل منهما بالارتياح مرة أخرى . لقد خبا الدفء والعاطفة التي تملكتها .. انها لن تقع في الحب . فشكرا لله ..

وفي المساء . وفي بيته . شعر ستيفن بذنب غامض . وتفحص ما في ذاكرته عما حدث في اثناء النهار وتحول الى زوجته وقال :

ـ على فكرة .. لقد تناولت غذائي مع هذه الفتاة الجديدة

فسألته هيلين :

ـ أية فتــاة ؟ وكانت في هذه الأثناء تقطع أوراق الخس من أجل السلطة .. وهذه مهمة بسيطة تمقتها كثيرا ..

وقال ستيفن :

ـ هذه العالمة الشابة ..

فتمهلت قليلا ثم قالت :

ـ تذكرت .. ولكن ماذا تناولت في الغذاء ؟ ..

فأجاب :

ـ لحم مشوى ..

فدارت حوله وقالت :

ـ كيف تجرؤ على ذلك ؟ انك تعــرف انني دائما أعد اللحم المشوى يوم الأربعاء للعشاء .. حتى يقويك بقية الأسبوع ..

ونظر اليها ببلاهة وقال :

ـ هل اليوم هو يوم الأربعاء ؟ .

فدقت بقدمها اليمنى على الأرض وقالت :

ـ بالطبع .. يوم الأربعاء ..
فقال ستيفن :
ـ يا الهى .. مرتان فى يوم واحد اصرف فيهما كالابله ..
ثم أخرجت الشواء وقربته منـه حتى يشمه ثم أبعدته ..
وقالت :
ـ لن ناكله ، ولن اصنع السلطة .. يجب أن نتعشي « عجة » وبعض البطاطس المتبقيـة . وآمل أن تصبح بدينا وقبيحا حتى لا تتطلع اليك أية فتاة .
واخذ ستيفن يفكر .. ان النساء يجب ان يكن فى حالة انفصال عن الرجال مثل العناصر فى المعمل . فهذه العناصر ـ وهى منفصلة ـ تكون عبارة عن كتلة آمنة يمكن التحكم فيها ، ولكن عندما تمتزج تحدث انفجارا . ولكن هل جين ايرل امراة فقط ؟ ربما من الأفضل أن ينظر اليها على أنها كتلة معروفة ، عالمة نقية ان لم تكن بسيطة . وفجاة شم رائحة البيض المحترق واستمر يداعب زوجته ويهدىء منها .
وفى المكتب الصغير بجوار المعمل ، واجـه بيرتون هول هؤلاء العلماء الأجانب . وسألهم :
ـ ماذا استطيع ان افعل لـكم أيها السادة ؟ .
ونظر كل منهم الى الآخر ، وكل منهم يحاول أن يتجنب الرد على سؤاله .. ولـكن « وينر » استطاع فى النهاية أن يكسر هذا التردد ويقول :
ـ اننا نعرف مدى انشغالك .. ولقد جئنا اليك ونحن نتردد كثيرا .. ولـكننا نعرف أيضا نفوذك الـكبير فى واشنطن .. فلو تفضلت واتصلت بالرئيس ..
وكان يعرف ماذا يريدون .. انهم أكثر النـاس تصميما .. وأكثرهم صلابة . وقال :
ـ أيها السادة .. اننى لا استطيع أن اسـير الى مـكتب الرئيس ..

وقاطعه زيجنى قائلا :
ـ لا .. لا .. اننا لا نطلب ذلك . وربما يجب أن تذهب أولا الى العسكريين ؟ .
فقال بيرتون :
ـ اننى كعالم . لاصلة لى بالعسكريين .. انها مسألة كرامة بالنسبة لنا .
فتدخل زيجنى يقول :
ـ انك اذا كتبت خطابا فسوف أطلب من فيرمى أن يأخـــذه بنفسه .
فقال فى قوة :
ـ ان فيرمى ليس فى حاجة الى خطاب منى .. ان كل واحـــد يعرفه .
ثم انه وقد شعر بالضيق وافق على أن يكتب الخطاب ونادى سكرتيرته واخذ يملى عليها صيغة الخطاب :
ـ ان احتمال التفاعل فى الطاقة النووية مؤكد الآن . ولكن بقيت التجربة فقط حتى يمكن التحكم فيها قبل أن نصنع القنبلة الذرية .
ثم وجه كلامه الى السكرتيرة :
ـ لا .. لا .. اشطبى ذلك واكتبى « اذا استخدم اليورانيوم كمتفجر فسوف يفجر طاقة فى الرطل تعادل ملايين المرات الطـاقة التى يفجرها اى متفجر معـروف .. واشعر انه بينما تقف كل الاحتمالات فى معارضة ذلك ..
وهنا نهض زيجنى ليقول :
ـ لا . ان الاحتمالات ليست ضد ذلك . اننا نعلم أن جوليوت كورى فى فرنسا وكذلك العلماء الالمان يعملون فى انشطار نـواة الذرة حاليا .
ونظر بيرتون الى سكرتيرته وقال :
ـ أين كنت .. ثم اخذ يكمل الخطاب وامرها ان تنسخه على

الآلة الكاتبة .. ثم تحول ، بعد أن خرجت السكرتيرة ، الى ضيوفه وقال :
ــ هــل قرأتم ما كتبــه ماير « وانج » فى العدد الأخير من « فيزيكال ريفيو » ؟ ».
وأومأ الجميع . ثم قال زيجنى :
ــ نيوترونات متأخرة .
وانبرى على الفور بيرتون هول يقول :
ــ هذا يعنى أن أمامنا حدا للتحكم قبل الانفجار ».
وصفق « وينر » فى هدوء وأضاف :
ــ بالضــبط .. ولنأمل أن يكون النازيون لم يكتشفوا ذلك أيضـا ..
فتأوه زيجنى وقال :
ــ يالسخف مثل هذا الأمل ».
وبعد ذلك بثلاثة أسابيع وافق بيرتون هول على ما قالوه ».
لقد وصل ضمن بريد الصباح رد من واشنطن يقول :
ــ اننا نقدر اهتمامكم بقضية العلوم الذرية .. ولكن ..
وفى حالة من الغضب والهياج قفز بيرتون هول من فوق كرسيه واخذ يسير فى القاعة .. والخطاب المفتوح يتطاير فى يده ، ليجد ستيفن فى المعمل . وصرخ فى وجهه :
ــ استمع الى ذلك ..
وأخذ يقرأ الخطاب فى صوت مزمجر ، وكان يهدأ فى بعض الفقرات ليركز على كل مقطع وبعد ذلك مزق الخطاب .. والقى نفسه على كرسى عال فى المعمل وتنهد وهو يقول :
ــ ان هؤلاء العلماء الأجانب على حق .. انهم على حق دائما ».
ثم سأل ستيفن فى عصبية :
ــ أتعرف ماذا قال الأدميرال فى واشنطن ؟ ».
فقال ستيفن :
ــ كيف أعرف وانت لم تبلغنى بشىء ؟ ».

فقال بيرتون !

ـ لقد ابلغ فيرمي .. انريكو فيرمي العظيم .. ويمكن أن أقول انه اعظم من اينشتين في بعض الوجوه ـ في الطرق العملية ـ اى في العلم التطبيقي . فهو ميكانيكي من الدرجة الأولى وهو ايضا عبقرية علمية . فهو يستطيع ان يصنع الأدوات التى يحتاجها عندما يريد ذلك ـ وهو يعرف ما يريد تماما .. لقد اوضح فيرمي لهؤلاء الحمقى انه من الممكن الحصول على الطاقة الذرية من الانقسام بالنيوترونات البطيئة ، ويمكن ان نصنع قنبلة ذرية بالنيوترونات السريعة .. وقد قال هؤلاء لفيرمي ان الحرب تمضي على ما يرام ، وعلى أية حال فان هذه الاسلحة العملية الجديدة لا يمكن الحصول عليها في حينها . اننا نتوقع النصر قبل مضي فترة طويلة ـ كما لو أن النازيين لا يصنعون الخطط لنسفنا جميعا في ظهيرة الغد ان امكن ذلك .

ودق التليفون واختطف بيرتون هول السماعة . وكان صوت زيجنى يتردد عبر الاسلاك .. واجفل قليلا ثم ابعد السماعة مسافة ثلاث بوصات عن اذنه .. ثم سمعه يقول :

ـ نعم . اعرف .. وماذا استطيع أن افعل . اذهب مباشرة الى الرئيس ولكن كيف ؟. ان حوله كثيرون .. وجميع الاقطاب في واشنطن أو تمبكتو .. وهم يعرفون فقط ما يبلغون به . ربما . قد يكون اينشتين . ولكن دعه يبلغ الرئيس ان الانقسام لن يسير فحسب سفنه الكبيرة ولكن هذا الانقسام سوف يصنع القنابل .. والقنابل الرهيبة . فقنبلة واحدة يمكن أن تنسف ميناء نيويورك وابلغه ان النازيين يعرفون ذلك . أو اكتب كل هذا في خطاب .. في شيء يقرأه .. انه لا يستمع الى صوت اى انسان سوى صوته هو .

والقى بسماعة التليفون ثم تأوه بصوت عال وهو يقول :

ـ زيجنى مرة أخرىٰ . يريد أن يذهب اينشتين مباشرة الى البيت الأبيض . وانت تعرف أن اينشتين يتحدث برقة بالغة حتى انه لا يمكن ان يذهب بشخصه . وبالاضافة الى ذلك فان انجليزيته غريبة . ان الانسان يحب أن يستمع الى لهجته بدلا من أن يستمع الى ما يقوله . ومن الأفضل ان يكتب كل مايريد . يا الهى .. بالضخامة الاموال التى لابد منها لانجاز هذا كله .

وساله ستيفن :

ـ من اين ستأتى هذه الاموال ؟.

فرد عليه بيرتون :

ـ ممن ستأتى سوى من الحكومة ؟ فأيس هناك من لدنه ما نريده من اموال ..

فقال ستيفن الذى يحترم المال ولكنه يحاول ان يتجاهل ذلك :

ـ تعنى ملايين الدولارات ؟.

فاجاب بيرتون هول فى غيظ :

ـ بل بلايين الدولارات .

وساد بعض الصمت الذى قطعه ستيفن بقوله :

ـ لا استطيع أن أفكر فى بلايين الدولارات .. فقط افكر فى بلايين الذرات ..

فرد عليه بيرتون فى عدم اهتمام :

ـ نفس الشىء .

ثم نظر الى ساعته وأضاف :

ـ لقد حان وقت العشاء .. ان مولى تنتظرنى .

ثم انزلق من فوق الكرسى ، وسار خارج المعمل . وانغمس ستيفن يفكر لمدة خمس عشرة دقيقةكاملة ، واخرجه منهذا التفكير فجأة فتح الباب الذى يؤدى الى المعمل المجاور ، ورفع راسه . كانت « جين ايرل » تقف هنالك فى معطفها الأبيض . وواجهت عينيه المحملقتين ثم تراجعت الى الوراء واغلقت الباب برقة . ومع ذلك تبعثرت افكاره ونهض واخذ يبحث عن حقيبته .. وتوقف

ليتفحص رغبـــة مباغتة اكتشفها في تلك المنـــاطق التى نادرا ما يكتشفها داخـــل نفسه ، رغبة مبـاغتة في أن يفتح البـــاب مرة أخرى ..

وهز رأسه وقال لنفسه أنه من الأفضـــل ألا يفعل .. ولكن لم تعمل هنا فى المعمل المجاور لمعمله ؟ . ومن أمرها بذلك ؟ .

ووراء الباب المغلق كانت جين ايرل تواصل تجربتها الجديدة . ظلت تعمل طيلة ساعتين كاملتين ثم سجلت النتيجة في مذكرة بخطها الصغير المنمق . وقالت لنفسها « يبدو واضحا ان سيبورج وماكميلان وكنيدى و « وال » على حق . ومن المحتمل أن يكون البلوتونيوم هو المادة التالية للتجربة .

وأغلقت المذكرة ، وخلعت معطفها القطنى الابيض الطويل وأخذت تمشط شعرها . ثم خرجت لتناول الغداء . وتركت المطعم الذى قابلت فيه ستيفن وذهبت الى مكان آخر وجلست فى الكرسى الخالى الوحيد وطلبت لبنا وبعض الساندوتشات .

أنه بناء على حافز وذافع خطير طلبت أن تنقل الى معمل « ب » على رغم ــ ولتكن أمينة مع نفسها على الأقل ــ ان المفاتيح الكهربية ذات فولت أقوى من تلك التى توجـد فى المعمل الذى عينت فيه أولا .. ولكن السبب الحقيقى ، وهو مختلط بالدافع العاطفى ، هو أن ستيفن يعمل فى معمل « ا » . انها تسمح لنفسها بالحمق مرة أخرى . كما لو أنها لم تع الدرس بمرارة في الهند . فالعيون السوداء التى تطل من وجه رجل ، وجسم الرجل القوى الرشيق والعقل المتألق الذى يتحدث بلغة تدركها وتفهمها ، كل هذه الأشياء أقسمت هى أن تقاومها فى الهند وفى أى مكان آخر فى العـالم . وبينما هى تذكر ذلك فى غضب فتحت الباب ورأت ستيفن كوست وبسرعة أغلقت الباب مرة أخرى .

وهمست من بين أسنانها . انني لحمقاء . ولكن هل هى حمقاء لأنها فتحت الباب أم لأنها أغلقته مرةأخرى ؟ وقالت لنفسها لا داعى للسؤال ومن ثم لا داعى للاجابة .

وتغلبت على أفكارها العنيفة وطردتها كما تطرد أعداءها ثم

عادت الى أصدقائها العاديين ، الذرات ، هذه الوحدات التى لا ترى ولا يمكن رؤيتها من وحدات الحياة ، والتى بكمياتها الهـائلـة وطاقاتها اوجدت الكون . لقد اصبحت مخلوقات حية فى خيالها ، كل منها يحتوى على عالمها كاملا داخل نفسها . وقد أصبح واضحا الآن انها اذا تحركت وهى متحدة تجاه نقطة انفجار حرارية ، فسوف تخرج منها قوة لم تعرف من قبل . انه التفاعل المتسلسل .. ان النيوترونات السريعة سهلة ولكن عندما لايمكن التحكم فيها فانها قد تنسف الكرة الأرضية كلها . لابد أن يكون هناك تحكم فيها وسيطرة عليها . وترددت هذه الكلمة فى أغوار عقلها كقرع الاجراس .

وفى طريقها الى خارج المطعم اشترت احدى الصحف . واسترعت انتباهها العناوين ووقفت عند الباب تقرأ « واشنطن فى ٢٤ أبريل — أن علماء العالم فى سباق دولى اليوم لحل لغز سوف يسفر عنه انفجار تعادل قوته مائة مليون مرة قوة .ت.ن.ت . أو أى متفجر آخر معروف . وأى حل سريع للمشكلة قد يؤدى الى النصر فى الحرب . والمعروف أن علماء الطبيعة فى بريطانيا وفرنسا والمانيا يعملون جاهدين لحل هذه المشكلة . وكذلك يفعل علماء الطبيعة فى الولايات المتحدة ومن حسن الحظ ان علماء الطبيعة الأمريكيين فى المقدمة . والمتفجر الجديد الذى قد يكون أيضا الرد على السعى الى انطـلاق الطاقة الذرية وتحررها انما يتعلق بالنظـائر المشعة لليورانيوم . فاقل من واحد فى المائة من عينة من اليورانيوم العادى يحتوى على هذه النظائر . والنجاح الذى تحقق حتى الآن حدث فى جامعة كولومبيا حيث ترقد على شريحة من الزجاج كمية صغيرة جدا لا يمكن أن تراها العين المجردة » .. ثم طوت الصحيفة ومضت فى طريقها وحدها .

قال بيرتون هول :

— ان ما يجب أن تتذكره يا ستيفن هو الفرق بين فكرة الالمان من التقدم وبين فكرتنا ..

فرد عليه ستيفن قائلا :

ـ فكرة قريبة من التقدم . الدمار التام . ولا استطيع أن اقول اننا افضل منهم ، فالخطط التى نضعها والاهداف التى نرمى اليها تتشكل كلها لتخلق سلاحا يستهدف افناء البشرية .

كان كل منهما قد قابل الآخر على قمة الدرجات الرخامية لسلم الجامعة حيث ذهب كل منهما بمفرده ليستمع الى محاضرة « انريكو فرمى » عن الأشعة الكونية . وكان بيرتون هول قد قال لستيفن فى اسف :

ـ ما يزال هذا الرجل الصغير يعرف أكثر من اى واحد منا .»

وأجاب ستيفن :

ـ انى لأعجب هل يعرف كيف يمكن أن يحدث التفاعل الذرى .»

واقترح بيرتون هول « لم لا نسأله ؟» . فقال ستيفن :

ـ لو كان على استعداد فاعتقد انه سوف يقول .»

ومن هذا الحديث المتقطع وصلا الى السلاح ذاته . وجال فى افكر بيرتون هول احتمال ان يكتشف النازيون السر . وقال ستيفن :

ـ اذا حصلوا على السلاح فسوف يستخدمونه فى خلال شهور قليلة ، ولتكن اربعة شهور ، وفى هذه الحالة سوف يتخلى بقية العالم عن كل امل .

فقال بيرتون هول :

ـ لاترع .. وسارا معا فوق الأرض المليئة بالحشائش الخضراء بين الأشجار الظليلة التى كانت تتسلل بينها اشعة الشمس ثم واصل بيرتون هول حديثه :

ـ ان الهدف النهائى هو نفس الهدف ، السلام ومنتجات السلام . اننا جميعا نقدر السلام ونعرف اننا نستطيع فى ظل السلام ان نعيش فى راحة وسعادة . لذلك فان العلماء يحطمون أعداءهم ، أو أعداءهم الأقوياء على وجه الخصوص ، حتى يستطيعوا أن يتطوروا بعد ذلك ويتقدموا فى سلام وطمأنينة .



وســـاله ستيفن !
ـ ونحن ..؟
فاجابه بيرتون هول قائلا !
ـ اننا معشر الأمريكيين نصنع الاسلحة من أجل الدفاع لا من أجل الدمار . كذلك فنحن نريد السلام ، السلام الذى نستطيع أن نتقدم فيه ونتطور ولكننا لانستطيع أن نوجد حولنا صحراء حتى نكون في مأمن . اننا فقط نحصل على الاسلحة وليعرف بقية العالم اننا نملك هذه الأسلحة .»
وساله ســـتيفن !
ـ أتعتقد اننا لن نستخدم القنبلة ابدا ؟ »
فاجابه بيرتون هول فى صراحة :
ـ سواء استخدمنا القنبلة ام لم نستخدمها فان هذا لا يعنى اننا لانستطيع أن نصنعها . يجب أن نصنعها وبأسرع ما نستطيع.
وساروا في صمت برهة قصيرة حتى أوشك كل منهما أن يمضى فى طريقه ثم توقف ستيفن ليقـــول :
ـ ماذا تريدنى أن أفعـــل ؟.
فنظر اليه بيرتون هـــول !
ـ أريدك أن تدرس هذا الموضوع وتكتب تقريرا بذلك . أريدك أن تخبرنى هل يمكن لليورانيوم العادى أن يحدث تفـاعلا متسلسلا هل يمكن أن تفعـــل ذلك ؟.
ولم يجب ستيفن لفتـــرة ثم قال ، وهو لا يستطيع أن يرفع عينيه المتعبتين :
ـ أتعشم الا تطلب منى أن أعمل فى هذه الأسلحة .»
فقال له بيرتون هـــول :
ـ اننى فى حاجة اليك فليس هناك من يجمع بين بصـــيرتك ودقتك . فالشخص الذى يستطيع ان يقيس الأشعة الكونية على عمق الفين وخمسمائة قدم تحت الأرض فى احدى المناجم ويقيسها

بدقة رائعة هو شخص أريد منه أن يخبرني ماذا يمكن أن نفعله باليورانيوم انني اعتمد عليك جدا يا ستيفن .»
ـ فقال ستيفن :
ـ سوف افعل ذلك .
ـ فرد عليه بيرتون هول قائلا :
ـ اذن لا داعي لأن اذكرك فعندما تكون على أستعداد ، يمكنك أن تكتب تقريرك .
فاوما ستيفن وسار في طريقه . كان الليل قد اسدل ستائره على الكون وفوق البحيرة كانت السحب تتجمع في الافق سوداء ثقيلة . ورأى من بينها وميض برق ينبعث وبعد ذلك سمع زئير الرعـــد .

وفي الساعة الرابعة من صباح الليلة ذاتها دق جرس التليفون بجوار سرير جين ايرل ثلاث مرات واستيقظت على الفور وكان على الجانب الآخر بيرتون هول وقالت وهي تمسك بسماعة التليفون :
ـ نعم يا بيرت ماذا تريد ؟ .
وسمعته يقول :
ـ انني متضايق وفي حيرة .
فسألته
ـ ماذا حدث ؟ .
فقال لها :
ـ ان هــذا هو ما يضايقني فلا شيء يحدث وعلينا ان نتلقى أشارة المضي في العمل من اعلى . ان هؤلاء الذين وفدوا من اوروبا على حق .
وضحكت ثم قالت له :
ـ عم مساء ..
ووضع سماعة التليفون وظل مستيقظا حتى الفجر لا يفكر في أحد ولكن المعادلات كانت ترحف متتابعة على عقله . ان التفاعل

التسلسل ممكن والتفجير شيء لا مفر منه ولكن ماذا عن التحكم فى هذه الاسلحة . لقد سألته هذا السؤال كثيرا وقد قال لها :

ـ ان الجرافيت هو الذى يستطيع ذلك وهو أفضل من الماء الثقيل الذى يستخدمه الالمان . وقد سألها :

ـ الا يهمك أن تتسخ يديك فالجرافيت أسود مثل الفحم .

وقد أجابته آنذاك :

ـ كم مرة رأيت فيها يدى متسختين ؟ .

وضحكت حينئذ دون أن تجيب . لقد ضحت بيديها الرقيقتين الجميلتين كما ضحت بنفسها ولكن لأى شيء ؟ . لهـــذا الشغف والتطلع الازلى الذى جعل منها عالما بالرغم من أنها امرأة . ولم تكن تعرف أبدا هل يستحق العلم هذه التضحية .

وفى يوم من أيـــام سبتمبر وفى البيت الابيض كان الرئيس الكبير ينظر عبر مكتبه الى الشخص الصغير المتكور قبالته واشعل سيجارة جديدة ثم وضعها فى « مبسم » السجائر ثم وضعه فى ركن من فمه وأخذ ينصت للصوت الخافت الذى يحدثه عن الدمار الشامل والـكوارث التى لاحد لها وكان الجـو حارا وقال الرئيس للرجل الذى يجلس أمامه :

ـ اخلع معطفك .

وهز الرجل الصغير رأسه وأخذ يعتذر للرئيس لقـد استغرق وقتا طويلا وهو يأسف ولكن هذه التى يقولها حقائق هامة ويأمل أن يتم شيء من أجلها وفى الوقت المناسب .

وحملق الرجل الذى يجلس الى المكتب وهو طويل بدين أنيق الى العالم الاسمر الصغير وقال :

ـ اذن كل شيء يتكون من الذرات .

فأومأ الرجل الصغير موافقا .

ـ ومم تتكون هذه الذرات ؟ .

ـ من مقذوفات كهربية يا سيدى .

ـ وما هو الفرق بين الكهرباء والمغناطيسية ؟

ـ انهما مظهران لنفس القوة .

ومضى الحديث بينهما على هـــذا النحو وفجاة قال الرجـل الكبير :

ـ اتمنى ان اكرمك ولكن مهمتك قد تحققت وسـوف ابدأ العمــل .

فنهض الرجل الصغير وانحنى بطريقته الاوروبية وقال بصوته الرقيق اشكرك يا سيدى ، اشكرك جدا .

ثم انحنى مرة اخرى واستدار وفتح البـاب واغلقه خلفه فى هدوء واسترخى الرجل الكبير قليلا فى كرسيه وفجاة زحف على وجهه شعور بالخوف واخرج ورقة من مكتبه واخذ يقرؤها وهويكاد يمضغ « مبسم » سيجارته .

منذ عامين غزا الالمـان بولندا واسـتطاعت الدبابات الـكبيرة والطائرات ان تصنع لها ممرات عبر غربي بولندا الى وارسـو . وبينما كانت المعركة دائرة فى شوارع المـدينة هاجمت الدبابات الروسية ، بناء على خطــة سابقة ، من الشرق . وبعد ذلك بشهر واحد تقابل الجيشان وانقسمت بولندا الى قسمين : قسم خاص بروسيا وقسم خاص بالمانيا ! اذن كان هذا العالم على حق . ليس هناك وقت نضيعه بل ان هناك طريقا طويلا يجب ان نسير فيــه والمشكلة هى أن نجد الرجال . دائما مشكلة الرجل المناسب للوظيفة المنـــاسبة .

لقد كان هذا العالم يتنبأ ولم يكن الرئيس يستطيع ان يمضى تحذيراته انه مضطر لأن يستمع الى هؤلاء العلماء مهما يكن ما يفعلون وتنهد الرجل الكبير ثم تحدث الى سكرتيرته قائلا

ـ قولى لهارى أن ياتى الى . اننى اريد أن اتحدث معه او اسمعه يتحدث الى وقولى لزوجتى اننى لن احضر على العشاء .

وكانت سيجارته قد احترقت فاشعل سيجارة اخرى واخــذ ينفث دخانها فى عنف وعصبية .

في هذا الوقت كان ستيفن كوسنت في مكتبه الصغير ينهي تقريره الذي طلبه منه بيرتون هول وكان قد فحص المعادلات والتقديرات مرات كثيرة . ومع ذلك فان النتائج التي توصل اليها كانت ابعد من أن يوثق فيها ، فالعقل يستطيع ان يتخيل ويتصور ، ولكن ومضات التبصر التي لتضح في ارقام المعادلات يجب ان تتأكد عن طريق قياس نوويات الذرات بطريقة فيزيائية وهو لايريدوليست لديه الشجاعة لأن يقيس هذه النوويات الذرية فالقوة التي مازالت تكمن داخل النواة التي لاترى في الذرة شيء يفضل الا يفكر فيه ولا يكون مسئولا عن تفجيرها واطلاقها في عالم الانسان . وجلس مكتئبا متألما امام الصفحات التي سجل فيها معادلاته بخط دقيق صغير . انه يفضل لو كان شيئا آخر غير أن يكون عالما ولكن اباه ؟ هذا الرجل الصامت من رجال الاعمال ، لم يحذره أما أمه فكانت فخورة به عندما حصل على منحة لجامعة هارفارد لم يكن في حاجة اليها . من كان هناك يحذره من الدمار المقبل ؟؟ كان طفلا يلعب بأعواد الكبريت .

وبينما هو في افكاره هذه تردد في مسمعه صوت نسوة يمتزج بموسيقى صاخبة . ما الذي دهى هيلين حتى تقيم حفلا للنسوة فقط في ذلك اليوم من بين الأيام كلها؟ان هذا شيء لم يدركه ففي الساعة الثالثة من بعد الظهر امتلأ المنزل بالنسوة وبدلا من الهدوء الذي لابد منه وهو يعتصر عقله حتى يخرج ما فيه ويعبر عنه بمفاهيم النسبية اضطر ان يقنع اويرضى بثرثرةالنسوة فيالحجرة المجاورة، ووضع القلم وقد نفد صبره . واخذ يفكر في شهر العسل وفجاة تبلورت افكاره المتناثرة على صوت هيلين الضاحك الرائق . وهي تقول :

ـ اهلا جين ، دعيني اناديك باسم جين »

فقالت المراة الأخرى ..

ـ ان كل واحد يناديني باسم جين »

وتذكر هذا الصوت الهادىء ثم سمع زوجته تواصل كلامها وتقـول :

ـ هل تفهمين يا جين حقا نظرية اينشتين عن النسبية ، لا داعى للكذب . اننا كلنا نسوة ولن نقول لأحد . كان ذلك شيئا فظيعا من هيلين . لقد برهنت على مابدا يشك فيه هو وهو انه مهما تكن عاطفتها وحبها الا انها قادرة ايضا على الشر والتعذيب ، تعذيب نفسها وتعذيب الآخرين ولكن من تعذب الآن ؟ أتعذب جين أم تعذب نفسها . انه لايعرف بالضبط . وكبح جماح نفسه ورغبته فى أن يقفز من فوق كرسيه ويواجهها فى حضور كل صديقاتها ولكنه بدلا من ذلك اخذ ينصت الى رد جين ودهش وهو يسمعها تضحك وعندما سمع هذا الصوت الرقيق العذب استيقن أنه لم يسمع ضحكتها من قبل .

وقالت جين :

ـ كيف أستطيع ان اجيب على مثل هذا السؤال . فاذا قلت انني افهمها فسوف تكرهونني وأنا اريدكم ان تحبوني . لذلك اقول أن اينشتين قد دفع بنا الى خطوات أعمق لتفهم عالمنا وربما يكون قد القى ببعض الضوء كدليل يرشدنا الى عالم ابعد من عالمنا واعنى حسب مفاهيم الميكانيكا واحب ان أقول ايضا أن اينشتين يحاول دائما أن يبسط الروابط المعقدة لكل شيء موجود ويضعها كلها فى مجال واحد كما يسميه فالزمن والبعد والكتلة هذه هى المواد التى يستخدمها وهذه تؤدى الى كل شيء طبيعى والكتلة تعنى الوزن أو مقاومة الحركة وقد أدرك اينشتين أن النسبية بين هذه الاشياء الثلاثة تثبت أن هذه الكتلة أو المقاومة ليست غير متغيرة كما كنا نعتقد ولكن وزنها يزداد مع ازدياد السرعة وهذا شيء نسبى للمشاهد

وتدفق الصوت الحبيب الى أن سكت فجأة وكانت نبرات صوت هيلين تداهمه مثلما يقطع السيف الحرير فقد قالت لها هيلين :

ـ انني اكاد أفهم ماتقولين ، ولكن خبريني هل تفهمين ما يفعله زوجي ؟ .

وتساءل بينه وبين نفسه لم تستخدم هذه الكلمة الآن « زوجى »
لقد كان دائما بالنسبة لها ستيف .
وترددت جين برهة ثم قالت :
ـ لست على يقين من اننى اعرف بالضبط ماذا يفعل فى هذه اللحظة . اننا لم نتحدث ..
يا للسماء انها تخبر هيلين فى رقة بانها لم تقابل هذا الزوج فى الفترة الاخيرة والحق انه لم يقابل جين منذ شهرين كما لم يفكر فيها . واستمر ينصت ليسمع زوجته تقول :
ـ ألم تتحدثى معه حقا ؟.
ـ لم يحدث فى الفترة الأخيرة يامسز كوست .،
ـ الا تنادينني باسم هيلين ؟.
ـ اذا رغبت فى ذلك .
ـ ولكن حدثينى عن هذا اليورانيوم . اننى غبية .
ـ اننى على يقين من انك لست غبية .. ماذا أقول لك ؟؟
ـ اى شىء تعتقدين اننى استطيع أن افهمه .
ـ ان هناك الكثير الذى يمكن ان يقال ومع ذلك فقليلا مانعرف واعتقد أن هذا مايعكف عليه دكتور كوست .
ـ الا تنادينه باسم ستيف ؟ .
ـ لا .. ترين أن خام اليورانيوم الطبيعى كما يخرج من المناجم لا يمكن أن ينفجر بطريقة ذرية .. احدى نظائر اليورانيوم يمكن أن تفجر وهى يورانيوم ٢٣٥ . انه شىء يشبه السحر وهو نادر من بين نظائر العناصر الاثنين والتسعين الموجودة فى الطبيعة فهـذا العنصر ينشطر عندما يقذف بنيوترونات بطيئة حسب معلوماتنا حتى الآن واذا لم نستطع ان نفصل اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة نقية فاننا لا نستطيع أن نحصل على الطاقة التى نحتاج اليها مهما يكن سبب حاجتنا اليها .
فقالت هيلين :

ـ أتعنين الأسلحة ؟ .

وعلى الفور نهض ستيفن لينقذ جين من هذه الورطة . فلم يكن هناك أحد بعد على يقين من ان الأسلحة يمكن ان تصنع أو يجب أن تصنع . فلكى تفجر عن طريق الانشطار جزءا من اليورانيوم فلابد أن تنقسم عديد من الذرات فى الوقت نفسه . والنيوترونات هى الحل بالطبع كما اكتشف فيرمى . فاذا ادى الانشطار نفسه الى اطلاق النيوترونات فانها يمكن أن تولد انشطارا مرة اخرى ومن ثم يكون هناك تسلسل يربط الانشطار بالآخر .

لم يكن هذا حديث امرأة .

وذهب ستيفن الى حجرة المعيشة ووقف ينظر الى الجميع ورأى بينهن مولى زوجة بيرتون هول وقال لنفسه هل ستبلغ بيرتون هول بما قالته جين أم انها من الغباء بحيث انها لم تفهم ماقالت جين . ؟ ووجه كلامه الى جين قائلا :

ـ هل استطيع ان أطلب كوبا من الشاى .

وتقابلت عيناه بعينى هيلين المتحديتين وفى ادب بالغ غير عادى مر على النسوة يصافح كل منهن ثم جلس اخيرا بجانب جين وقال لها :

ـ لقد انتهيت من تقريرى واذا استطعت أن تسمحى لى فاننى أحب أن اناقش معك بعض النقاط قبل ان اسلمه فقالت :

ـ بالطبـــــع .

وفجأة تقابلت عيناه مع عينى هيلين المسددتين اليه ورمقها بنظرة ثم تحولت بعيدا عنهما . وانتصف الليل وهو مازال يتحدث الى جين وكانت هيلين قبل ذلك بساعتين قد قرعت الباب نصف المفتوح وقالت :

ـ اننى ذاهبة لانام ياستيف .

فقـــــال :

ـ سوف الحق بك حالا . .

وتقدمت منهما وعلى غير توقع قبلت جين على خدها وقالت :
ـ عمي مســـاء ياجين .
ـ أشـــكرك ياهيلين ..
ـ مـــلام ؟!
ـ على القبـــــلة ..
ـ انني لا اقبل الناس كثيرا .
ثم مضت هيلين في طريقها وعاد ستيفن وجين الى حديثهمـا مرة اخرى كما لو أنها لم تكن بينهما منذ مدة . وقالت جين :
ـ اليس لديك اى شك الآن فى ان القنبلة يمكن ان تصنع ؟ .
ـ فاجابها . بلى .
وقضمت شفتيها وهى تقــول :
ـ ان هذا يعني ان اية دولة تستطيع أن تدمر اية دولة اخرى .
ـ انني اخشى ذلك .
ـ هل نستطيع ان نتحكم في المواد الخام ونشرف عليها ؟ .
ـ ان هناك يورانيوم فى كل مكان . وربما يكون هناك ثوريوم ايضا وهذا بعيد عن اشرافنا .
ـ ليس هناك علم يمكن التحكم فيه . اننا نستطيع أن نحتفظ بالسر لبضعة شهور او سنين وليس اكثر من ذلك
ـ ان عقول الانســـان لايمكن أن تتوقف .
فتنهدت بعمق وقـالت :
ـ أهذه نهاية البشرية ؟ .
ـ انني ارفض ان أتقبل ذلك .
ـ ولكن يبدو أنك تتالم بشـــكل عميق .
ـ ان كل انسان عاقل يجب أن يكون كذلك .
ـ نعـــم ..
وساد الصمت بينهما لحظة وقطعته اخيرا بقولها ؟!
ـ انني اشعر بانني مسئولة كامراة . كنت أود الا اكون بمفردي هـــكذا .

ـ انك في هذه اللحظة عالمة فقط وليست المسألة في أنك امرأة وأنا رجـــــل .

ـ فيما عدا أنك تنتسب الى نصف الجنس البشري وأنا النصف الآخر والنصف الذى تنتمي اليه يقظ ويعمل أما النصف الذى أنتمي اليه فنائم يلد الاطفال ويدير البيوت ـ الكل نائم . وبعد ذلك يلقي بالاطفال الى نيران الانفجار الذرى وتتقوض البيوت وتصير رمادا فكيف أوقظهن ؟ .

وتلألأت الدموع في عينيها ثم تدحرجت في بطء على خديها ولم يستطع أن يتحمل أن يراها تبكى بهذا الألم ولم يجرؤ على أن يربت عليها ليهدىء منها لكنه بدلا من ذلك تحدث اليها في هـــدوء ودمه قائلا :

ـ أليست هذه الدموع سابقة لأوانها ؟؟ ان ما نتحدث عنه قد لايحدث مطلقـــا .

ـ يجب أن نجعله لايحـــدث .

ونهضت ومدت اليه يدها فاحتواها بيده وشـــعر بأنها دافئة ترتعش . شعر بذلك لبرهة وجيزة فقد افترقا بعد قليل ورآها وهى تركب عربتها الصغيرة .

وعندما صعد الى أعلى كانت هيلين نائمة أو هكذا اعتقد .. كانت تنام على جانبها الأيمن ولم تتحرك .. ثم انه لم يوقظها .. ورقـــد بلا نوم في سريره . ان جـــين على حق . يجب ألا يدع ذلك يحدث .

وفي اليوم التالى ذهب الى بيرتون هول وقال له :

ـ ها هو التقرير . لقد انتهيت منه ليـــلة أمس وراجعته مع « جين ايرل » . وقد اتفقنا على أن التفاعل المتسلسل ممكن كلية . وقد يكون التفجير الذى يولده أبعد من سيطرتنا . ولكن التجربة هي التى ستحدد ذلك .

وسأله بيرتون هول :

ـ ولكن ماذا سنستخدم من أدوات لكى نخفف من ذلك ؟ .

فأجاب ستيفن :

ـ لقد قدمت عدة اقتراحات في التقرير . وأعتقد أن الجرافيت الذي قال به « فيرمي » هو أفضل شيء . وهو كذلك أبسط وأسهل من الماء الثقيل أو أي شيء آخر . فهمهم بيرتون هول وهو يقول :

ـ مهمة دقيقة جدا ..

ولكن ستيفن قاطعه قائلا .

ـ اريد أن أبتعد عن هذا العمل .

وحملق فيه بيرتون هول وقال :

ـ ماذا تعني ؟ .

ـ لا أريد أي دور في صناعة هذا السلاح ؟

ـ ومن يريد ؟ انه عمل الشيطان . ولنفترض أن آخرين قاموا بصنعه أولا . انني أراهن على أن النازيين قد استولوا على النرويج بسبب ما يوجد من الماء الثقيل هناك . انني لا أستطيع أن أجلس وأرى بلادي وهي تتحطم وتنسف .

ـ ان كل انسان يجب أن يقرر مصير نفسه .

ـ ليس اليوم .

وألقى بيرتون هول بالتقرير جانبا ثم قال :

ـ اننا نعيش أو نموت معا .

ولم يجب ستيفن كوسنت . وجلس واسترخى بجسمه النحيل على الكرسي في مواجهة النافذة وأخذ يراقب الطلبة وهم يمرحون في حرم الجامعة . كانوا فرحين بيومهم الجميل والرياح الباردة تلهب خدودهم كما كانت شعور الفتيات تتطاير في الهواء . ان هذا شيء غير حقيقي ولكن ما هو الشيء الأقل حقيقة ، تلك الأجسام الهشة من لحم ودم والتي تموت بسرعة أم هذه الطاقة الكامنة في جزيء صغير جدا لا يمكن أن تراه العين ؟ . ثم انه أردف يقول :

ـ لن ارتبط بهذا المشروع .

وعلى الفور انفجر بيرتون هول يقول :

ـ انك تدعو نفسك عالما ، فهل تعتبر أن هــذا القرار الذى تتخذه بعدم اشتراكك فى صنع هذا السلاح سوف يحول دون ان يصنع بل وان يستخدم ايضا .

فاجابه ستيفن :

ـ على الأقل لن اكون مسئولا .

وحينئذ كشر بيرتون هول عن اسنانه وزمجر قائلا :

ـ انك مسئول فاذا سقطت القنبلة علينا اولا قبل ان تستطيع ان نسقطها على العدو فسوف تلام . انكم انتم تجار الحروب الحقيقيون ، انتم معشر دعاة السلم . انكم تجار حروب وانهزاميون ايضا .

ولم يزد عليه ستيفن كوسـت ونهض واقفا واخـذ قبعته وترك الحجرة .

فى تلك الليلة وعندما عاد الى بيته قبل زوجته قبلة قصيرة وهى تعمــل فى المطبخ وقد كانت تصنع العشاء كانت خدودها ساخنة وحمراء ، أما مزاجها فلم يكن هادئا بالمرة وسمع زوجته تقول فى شبه شكوى :

ـ عندما افكر فى المطبخ الكبير الجميل فى البيت الذى لن املكه ابدا ، اتعجب لماذا تزوجت عالما ؟ .

فأجاب ستيفن بقوله :

وانا اتعجب ايضا لم اصبحت عالما ؟ .

لم انتظر حتى تسأله عن احواله ولكنها كانت مشغولة فى الكعكة التى تعدها فى الفرن التى احرقت اصـابعها وهى تجرها من الفرن وحينئذ قرر ان الوقت غير مناسب للحديث عن التفجير الذرى . ثم سألها عن موعد اعداد العشاء واجابته بانه يجب ان ينتظر نصف ساعة والا يتحدث معها مرة اخرى لأنها متعبة فذهب الى مكتبه وهناك جلس وهو يضع راسه بين يديه واعماقه تتمزق ؟ لم تذكر قولا ماثورا كان يردده ابوه كثيرا فقد كان يقول دائما : « ان الصينيين يعرفون الانسان اكثر مما نعرفه فهم يقولون ان كلا

منا في أعماقه ثلاثة أرواح وسبعة من الشياطين وكلها في حرب مستمرة » وكان يسأل أباه قائلا : « ثلاثة ضد سبعة أليست النتيجة معروفة » . فكان يجيبه بقوله : « من يعرف مدى قوة الروح ؟ . ان النسبة قد تكون صحيحة » .

وبحافز في أعماقه قام الى التليفون وطلب جين ايرل وشعر برهبة الى حد ما وهو يتذكر رقم تليفونها دون أن يكتبه في مفكرته ولم يستطع أن يتذكر أين سمع رقم تليفونها ولكنه يعرفه فهو محفور في ذاكرته .

ـ جين ؟

ـ نعم يا ستيفن .

ـ اني لسعيد لأن تناديني هكذا . فقد كنت اريد أن اطلب منك ذلك .

فقالت في هدوء :

ـ ان هذا شيء طبيعي .

ـ لقد قدمت تقريري الى بيرتون هول اليوم وأبلغته اني لا اريد أن استمر في هذا المشروع . لسوف افعل أي شيء اخر في مجال البحث ولكنني لن أعمل في هذه المهمة .

ـ انني لسعيدة لذلك وهذا يعني أن هناك اثنين منا .

وسمعها وهي تضع السماعة برفق ثم ساد الصمت .

وبعد منتصف الليل بفترة طويلة نهض بيرتون هول وجمع قصاصات الورق التي كان يسجل عليها بعض المعادلات والملاحظات . وكان قد اكمل اول خطوة لأي مشروع قد يتعهد به وكان قد جلس وحده في هذه الغرفة غير المرتبة التي يسميها مكتبته واستطاع ان يخرج بمشروع من عنده هو وكانت الخطوة التالية ان يبحث عن زوجته حيثما نامت ويوقظها ان كانت نائمة ويتحدث اليها . انها في هذه الساعة لابد أن تكون نائمة في السرير الكبير العتيق الذي شاركها اياه منذ ثلاث وعشرين سنة وتنهد وهو يصعد الدرج وقال في نفسه « النوم ! » متى يستطيع ان ينام مرة اخرى دون أن تداهمه الاحلام

المزعجة ؟ انه يقف على أعتاب معركة رهيبة لا يمكن أن يتراجع عنها.
وأضاء النور في القاعة العليا وفتح باب حجرة النوم وكانت زوجته نائمة وكان المصباح بجوار السرير مضاء فوضع أوراقه على المنضدة بجوار المصباح وخلع ملابسه فى صمت وشعر بأنه فى حاجة الى دش ساخن يريحه وخمس دقائق من التمرينات الرياضية ولكن الفرص لا تسمح بالعناية بصحته الآن وزحف بجوارها على السرير وأخذ يوقظها وطلب منها أن تصحو لأنه يريد أن يتحدث اليها ومال عليها وقبل وجنتها وقال لنفسه يا لها من امرأة تعيسة اذ تزوجتنى . ثم وجدها تفتح عينيها بصعوبة فمضى يتكلم :

ــ اننى اعرف الأشعة الكونية وكل هذه الأشياء بل استطيع أن أمضى أكثر من ذلك وأقول اننى أعرف قدرا كبيرا من امكانيات تقسيم الذرة ــ ليس مثل فيرمى العملاق الصغير ــ ولكننى أعرف ما يكفى لأن أتحدث معه وأعرف ما يحدثنى عنه واننى لا اعرف ماذا يفعل الآن فى محاولته لاحداث التفاعل المتسلسل ولكن يجب على أن أقوم بمهمة لابد فيها من علماء كبار وهى مهمة على جانب كبير من السرية التى يحتمل أن تؤدى الى أن أصنع ، أو اساعد فى صنع سلاح قد ينسف العالم ومن بينه انا وانت .

وهنا تأوهت مولى بصوت عال وسألته :

ــ لكن لم تصنع هذا السلاح ؟ .

فرد عليها قائلا :

ــ لا توجهى الى اسئلة سخيفة فهل تعتقدين اننى اقدم على صنع هذا السلاح ان لم أكن مضطرا الى ذلك ؟ . ان النازيين سوف يقضون علينا ــ هذا هو السبب وأولادنا على وشك أن يلتحقوا بالجندية .

فاستيقظت مولى عند ذكر ولديها وقالت :

ــ أرجوك ألا تشركهما فى ذلك اننى لا اريدهما ان يرتبطا بعلمك القديم .

فقال لها :



ـ مولى .. لا تتحدثي عن الأولاد أو أي شيء .. فقط انصتي الي .. سوف أحدثك عن الموقف كما اراه في هذه الساعة من الليل ان لدينا عملا كبيرا وليس لدينا الوقت لنقوم به فالذي كان يمكن أن نصنعه في القرن القادم وفي فسحة من الوقت يجب أن نفعله في مدى خمس سنوات على الأكثر بل وفي أربع سنوات. ان لدينا فكرة باهتة عن أين تكمن أكبر طاقة في العالم ونحن نخاف أن نطلقها لاننا لا نعرف كيف نسيطر عليها . وهذه هي المشكلة الأولى : كيف نتحكم فيها ؟.

فتمتمت مولى وهي تقاوم النوم :

ـ التحكم فيها .

ثم واصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ـ اذن كيف نستطيع ان نتحكم في هذه الطاقة ؟ . ان علينا أولا ان نحصل على مفاعل نووى والمفاعل النووى يا زوجتي ليس اكثر او اقل من فرن كبير جدا .

فرمقته باحدى عينيها وقالت :

ـ فرن مثل فرن المطبخ ؟ .

ـ بالضبط ولكنه أكثر حرارة من هذا الفرن بملايين المرات حتى اننا اذا لم نستطع أن نسيطر عليها ونتحكم فيها فان كل شيء سيحترق ويظل يحترق ذلك لأن هذه الحرارة هي نفس الحرارة التي تجعل الشمس والنجوم في مثل حرارتها ـ أي عبارة عن لهيب متصل من غاز الهليوم المحترق . فصرخت مولى وفتحت كلتا عينيها وقالت :

ـ ولكن لم تفعل مثل هذا الشيء ؟ !.

فقال لها :

ـ هل يمكن أن تهدئي انه لا بد أن آتي بمن يبني هذا المفاعل. انه لابد أن يكون معي رجال كثيرون يقومون باشياء كثيرة في الوقت نفسه ـ اذن من الذى أستعين به لبناء هذا المفاعل ؟ ما رأيك في

« تدباركز » ؟ أنه يعمل في البحرية ولكنني أستطيع ان أطلبه من هناك فهذا المفاعل أكبر من أى مشروع يتعلق بالبحرية وهو يعرف الفيزياء النووية وقد عملنا معا فى اشعة اكس وهو يستمع لى ولكنه يفكر .

فقالت له مولى :

ـ وهو يكتب الشعر ايضا . وقد رايت له بعضا منه فى احدى المجلات وهو شعر جميل ولكننى لم استطيع ان أفهمه .

فسالها فى غضب :

ـ اذن كيف عرفت انه جميل ؟ .

فقالت له :

ـ لقد كان وقعه جميلا عندما قرأته بصوت عال لكى ارى اذا كنت افهمه أولا ولم استطع ولكنه ما زال يبدو جميلا .

فحملق فيها ثم واصل حديثه قائلا :

ـ لا يهمنى كتابته للشعر .. والآن اين أنا ؟ .

واخذ يتفحص مذكراته ..

ـ نعم هنا .. التحكم فى الطاقة الذرية .. ان هناك يا زوجتى عدة طرق نستطيع بها أن نتحكم فى هذه القوة الرهيبة ولكننا لا نعرف ما هى أفضل وسيلة للتحكم . فمثلا هناك البيريليوم أو الكربون وكل منهما يخفف من الانفجار الذرى ولكن البيريليوم نادر جدا ولا اعرف من أين نأتى بما يكفينا منه اما الكربون فخطير انى أكاد أجن فاللجنة فى واشنطون تعمل منذ عام ونصف فى فصل اليورانيوم وتحاول أن تجد وسيلة للحصول على مفاعل نووى يمكن التحكم فيه ولا يعتقدون أنهم سيحصلون على أى شىء لاستخدامه فى هذه الحرب ولكن يا عزيزتى سوف نضطر لاعداده من أجل هذه الحرب لان النازيين يضعون خططا كبيرة ـ ان هـذا سر هل تسمعين ؟ .

فقالت زوجته وهي تبتلع تنهيدة اخرى !

ـ نعم انى منصتة .

وارتكن الى الوراء ويداه متشابكتان وراء رأسه وكانت مذكراته تتطاير على الأرض ثم قال :

ـ هل تعرفين ماذا قال لى ستيفن كوست اليوم ؟ لقد قال انه لا يريد أن يعمل فى هذا المشروع وقد سلمنى تقريرا يقول فيه انه متأكد أن هذا يمكن ان يتم ولكنه لا يريد أن يكون واحـــــدا ممن يصنعونه ـ انه يريد أن يعمل فى أشياء لا تقتل النـاس . سوف أتركه ... لا لن أتركه اننى أريد كل العقول الكبيرة التى استطيع ان احصل عليها ثم اننا لا بد أن نحصـــل على ارطال وأرطال من اليورانيوم ٢٣٥

وكانت زوجته قد راحت فى النوم مرة أخرى فاخذ يوقظهـا ويقول :

ـ ارجوك انصتى لى دقيقة اخرى .. لقد قال طومبسون ان تجاربه توضح اننا نستطيع أن نحصل على البلوتونيـــــوم من اليورانيوم ٢٣٥ وهذا يعنى أننا نستطيع أن نحدث وحدات من التفاعل المتسلسل من مائة رطل من هذه المادة بدلا من مائة طن من اليورانيوم الطبيعى واذا حصـــلنا على ما يكفى من البلوتونيوم فيمكننا ان نحدث تفاعلا متسلسلا بنيوترونات سريعـــة بدلا من النيوترونات البطيئة الأمر الذى يعنى اننا بمثل هـذا التفجر لن نحصل على قنبلة فحسب بل سيكون لدينا قنبلة كبيرة وهـــذا ما يجب ان نعمل فيه يا عزيزتى وهذا شيء واضح بالنسبة لى والآن يمكنك ان تنـامى .. ثم مال عليها وطبـع على خدها قبلة عالية واطفأ النور .

وعاد بيرتون هول مرة أخرى الى كاليفورنيـا لحضور احـدى

المؤتمرات وكان المتحدث أحد العلماء الانجليز وقال لهذا العالم « انني نوع من العنكبوت البشرى أنسج خيوطى عبر البلاد كلها ، كنت فى نيويورك فى الأسبوع الماضى ثم ذهبت الى شيكاغو وبعد ذلك الى واشنطن وأنا هنا لأقابلك • ولم يكن الزملاء فى واشنطن يريدوننى أن أركب الطائرة مرة أخرى • فهناك فكرة تعلق فى أذهانهم بأننى شىء مهم وقد هددونى بانهم سيركبوننى القطار ومعى بعض الحرس ••

فأجابه العالم الانجليزى :

ـ انهم على حق •

واستقر بيرتون هول فى كرسيه الخشبى غير المريح ليستمع الى هذا العالم المشهور ولكنه بدلا من هذا اخذ يفكر فى خططه السرية ، ان خيوط العنكبوت يجب أن تنسج الى ابعد من بلد واحدة ويجب على العلم أن يركز نفسه وأن يركز على مشروع عسكرى واحد • ان قنبلة البلوتونيوم يجب أن تصنع • شريب حقا أن تصبح الأحلام حقيقة طالما أن هناك وقتا وضرورة وقد ضيع رجال الكيمياء فى العصور السابقة حياتهم وهم يحاولون صنع الذهب من المعادن الدنيا • والآن أصبح تحويل المادة شيئا ممكنا ولكن ليس بالنسبة للذهب فالضرورة هنا هى الحياة نفسها والشىء الملح هو الحرب المحتملة •

وتتابعت الفكاره واخذ يغالبه النوم فقد كان الهواء فى قاعة المؤتمر دافئا وهادئا ولم يكن قد أخذ قسطه من النوم منذ الليلة الماضية بل ان القهوة قد فقدت تأثيرها ومفعولها ولم يجرؤ على محاولة تعاطى المنبهات التى يستخدمها طلبة الجامعة ولم يكن يستطيع أن يستخف بأى شىء فالحقيقة داكنة ولا بد أن يعرف ما يقوله هذا العالم الانجليزى وقد كان الرادار هو أكثر التطورات العلمية أهمية حتى ذلك الحين بالنسبة للحرب • ولا أحد يعرف كم من الأرواح البريطانية أنقذها استخدام الرادار فقد كان يعلن

عن الغارات النازية فى وقتها حتى تستطيع الطائرات المقـــاتلة الانجليزية أن تواجه هجمات العـــدو • وما الذى كان يمكن أن يحذرهم لو لم يوجد الرادار وجاء صوت العالم الانجليزى يقول :

ــ لقد قمنا بقياس النيوترونات السريعـــة وهى تمر عبر اليورانيوم ٢٣٥ ووجدنا أن الكمية المطلوبة للتفـاعل المتسلسل أصغر بكثير مما كنا نعتقد فى أول الأمر ونحن على يقين الآن من أن القنبلة يمكن أن تصنع بالبلوتونيوم الناتج عن ذلك •

وقال «تدباركز» الذى كان يجلس الى جوار بيرتون هول :

ــ اتذكر فيرمى •• ان كل شىء قاله يؤكد ما سمعنـاه الآن فكل ما نحتاج اليه اقل من مائة رطل من البلوتونيوم •

فاومأ بيرتون هول علامة الموافقة فقد اشتملت مشروعاته فى الأسبوعين الأخيرين على الاستعانة بالعالم «فيرمى» و «وينر» العالم المجرى الكبير •

فى ذلك اليوم ظل يستمع الى وينر وهو يحكى له ، بينما عبراته تنهمر ، من النازيين وما فعلوه فى بلاده ، كان يتمزق من الفزع وهو يتكلم وهو يذكر الجو الذى هرب منه تاركا وراءه كل الناس أحبه وقال :

ــ لقد قال لى أبى عندما رفضت أن اهرب : يجب أن تغادر البلاد ، أن فى عقولكم شيئا يمكن أن يساعد فى انقاذ بقية العالم ، اذهب الى أمريكا ، وأخبرهم بكل شىء •

ثم حاول ان يبتسم وواصل حديثه :

ــ اعذرنى •• اننى لا استطيع أن انسى وهذا هو السبب فى اننى اقول اننا يجب ان نمضى بسرعة فى صنع هذه القنبلة حتى نكون مستعدين للحرب ••

فقال بيرتون هول :

ـ رُبما لا نضطر الى استخدامها اذا حصلنا عليها ».

فأجابه وينر :

ـ اننا لا نقــرر ذلك الآن ولــكن اذا اضطررنا فســوف نستخدمها .

ومن كاليفورنيا طار مرة أخرى الى شيكاغو ودعا رجاله وبعد ثلاثة أيام من التخطيط والمناقشات جلسوا جميعا يتفقون أخيرا على ان البلوتونيوم يمكن أن يصنع ـ ولكن بأموال كثيرة وبمصنع كبير ـ اذا خصص للمعدن الذى تحتاجه القنبلة . ووقف أحد العلماء البولنديين وهو خبير فى المتفجرات ليقول :

ـ اننا نستطيع أن نصنع قنبلة ذريةصغيرة فى احدى الطائرات ونوفر الطائرات الكثيرة التى تحمل عادة القنابل الحارقة التى تقوم دائما بعمليات الاتلاف وبهذه القنبلة الواحدة نستطيع أن نحدث من التلف والخسائر ما تحدثه هذه القنابل الحارقة جميعا .

وانفض الاجتماع وانتهى العالم الانجليزى مما كان يريد أن يقوله واتجه نحوه العلماء لا ليصفقوا له أو ليتعارضوا معه ولكنهم كانوا يعانون من قلق خطير ولم ينهض بيرتون هول من مقعــده فقد طفت مشكلة من أعماق عقله المضطرب فالطاقة التى تولد من الانشطار فى رطل واحد من البلوتونيوم تعادل نحو عشرة آلاف رطل من مادة ت.ن.ت. ولكن لنفترض أن القنبلة فجرت نفسها قبل أن تستخدم ماذا عن ضغط الغاز والحرارات الخاصة فمن ذا الذى يعرف قوى القصور الذاتى وانتقال الاشعاعات والجزيئات عبر المعدن نفسه . كيف يمكن الاجابة على مثل هذه الأسئلة أو حتى حسابها ؟. من ذا الذى يعرف أى شىء ؟. ونهض فى صمت وسار على مهل انه مضطر لأن يكون وحده فى مكان ما لمدة ساعات بعيدا عن صوت أى انسان بعيدا عن هذا العالم الصغير وقريبــا من النجوم مرة أخرى .

ومضى بيرتون هول الى حيث التليسكوب الضخم الذى يربض

على قمة جبل مرتفع ومن هناك استطاع أن يتبين رقعة من الأرض فسيحة في وادى ريوجراند حيث اســـتقر رأيه على أن هذا هو المكان الذى يبحث عنه بعيدا عن الطرق وبعيدا عن المدن وبعيـدا عن الناس • فهنا فى أمان وسرية تامة يمكن أن تصنع التجـربة الكبيرة •

قال ستيفن كوست لجين :

ـ لقد انتهى يوم آخر وحان الوقت لأن نتوقف • لقد كتبنـا الكثير من التفاصيل ، ان هناك أربع طرق يمكن أن يصنع بها هذا الشىء • اننا فى حاجة منها الى بضع مئات من الأرطال ويجب أن نتذكر ذلك فالألمان يستخدمون طريقة الانتشار الحرارى وهـذه طريقة باهظة التكاليف اذا كانت تقارير الأبحاث التى تجريهـا البحرية فى واشنطن موضع ثقة • فهم هناك يعملون بهذه الطريقة أيضا • أما انجلترا فتستخدم طريقة الانتشار الغـازى وكذلك تفعل كندا •

فقالت جين وهى تتنهد :

ـ لا تذكر الغاز فهـو شىء خطير ويهلك كل شىء انى أكره لونه •

فقال ستيفن وهو يوافق على كلامها :

ـ وسوف يكون من المستحيل أن نجعل الأنابيب ضد التسرب ولكن هناك الفصل المركزى والفصل الألكترومغناطيسى ، وبيرتون هول لديه كل شىء فى عقله الآن ومنظم ، لقد أمضيت معه أمسية الأحد وقد حددت له الطرق الأربع ، أما الخطوة التالية فهى عملية تنسيق وهذه مهمة بيرتون هول ولكنه لا يستطيع أن يتحرك ما لم تعرف الحكومة ذلك •

فقالت جين :

ـ لقد ذهبت مساء الأحد لأستمع الى كونشيرتو لبيتهوفن فلم أكن أستطيع أن أبقى وحدى فى شقتى لسبب ما •

فسألها ستيفن :
ـ الا يمكن أن أرى هذه الشقة ؟.
فأخذت جين تفكر فى الأمر وقررت أن تتقبل هذا الطلب ، لقد أصبحت الوحدة بالنسبة لها شيئا لا يطاق بعد ان ظلت فترة طويلة ترتاح إليها وقالت له :
ـ متى تحب أن تأتى ؟.
فتراجع مرة أخرى وقال :
ـ فى وقت ما عندما لا يكون هنــاك شيء يقلقنى وقد تأتى هيلين معى . اننا نعرف الكثير عن هذه المادة يا جين .
فقالت له :
ـ نحن نعرف الكثير ولــكن قد لا يكون كافيا ، ولــكن هل ستعمل فى هذا المشروع يا ستيفن .
فأجابها :
ـ لا ، اننى ما زلت لا أعمل فيــه وقد فعلت كل ما يمكن أن أفعله ولسوف أعمل فى مشروع خاص بى ، فلدى بعض الأفــكار عن استخدام الطب للنظائر المشعة .
ولم تجب واستدار ستيفن ليواجهها ويحملق فيها ويقول :
ـ ان أنفك يلمع .
فسألته وهى تمسح أنفها بكمها :
ـ هل هذا مهم ؟.
فقال لها :
ـ لا تمسحيه اننى أحبه يلمع فهو أنف جميل .
وفى هذه اللحظة استدارت جين وأخــــذت تجمع الأوراق وقصاصات الورق وتضعها فى درج المكتب ثم قالت :
ـ لقد حان موعد ذهابى الى بيتى .
فوافقها على ذلك وأخذ يتسكع لبضــع دقائق فى المعمل ثم سمعها تقول :

ـ لقد جاءنى خطاب من بيرتون هول اليوم ٠
فسألها دون أن يدير رأسه :
ـ أين هو ؟٠
فقالت :
ـ فى نيو مكسيكو وقد وجد المكان الذى سنقيم فيه المشروع ٠
ـ أعتقد أنه يريدك أن تذهبى معه ٠
ـ سوف يتيح لى الاختيار ٠
ـ هل ستذهبين ؟٠
ـ لا أعرف ٠
ـ انك ستعملين بطريقة مباشرة فى هذا السلاح اذا ذهبت الى هناك ٠
ولم تجب جين ثم وضع ستيفن المبراة على المكتب وخلع معطف العمل ومضى ليرتدى معطفه ثم قال :
ـ سوف اذهب ٠
ولكنه توقف عند الباب ٠٠٠
ـ اعتقد انه كان هناك اثنان منا لقد قلت ذلك فى احدى المرات ، اثنان ضد هؤلاء جميعا ويبدو الآن أن هناك واحدا فقط ، اننى اقف وحدى اليس كذلك ؟٠
كانت جين فى تلك اللحظة تقرا قصاصة من الورق وفجأة صاحت :
ـ ستيفن لقد اكتشفت غلطتك ٠
وفى خطوات ثلاث كان ستيفن بجوارها وخطف منها الورق واشارت الى احدى المعادلات وقالت :
ـ لقد سلمت بأن قوة الصدمة تتحدد بكمية الطاقة التى تنتج ولكن ليست الكتلة هى التى تهم ، انها الطاقة الديناميكية الحرارية المباشرة ٠
فخبط جبهته بيده وقال :

ـ كم انا غبى .. انها نفس القاعدة التى استخدمها بيرتون هول منذ سنوات مع شركة جنرال اليكتريك فهى القوة التى فجرت الطاقة فى « فلاش التصوير » ..

فقالت :

ـ نعم .. نفس القاعدة ايضا للقنبلة الذرية .

ثم تركها وهو يمسك بيده قصاصة الورق وانتظرت وعندما لم ينظر اليها مرة ثانية وهو عند الباب ابتسمت ثم فتحت احد الأدراج واخرجت خرقة من القماش واخذت تمسح المنضدة كما لو كانت حوض مطبخ .

وبدات الاتصالات على جميع المستويات لتنفيذ هذا المشروع وكان بيرتون هول هو المحرك الأول لهذا المشروع وجاءته مكالمة من البيت الأبيض وبعد أربع وعشرين ساعة كان فى واشنطن ليقابل المهندس الكبير « فان » الذى اخذ منه التقرير ووعده بدراسته واطلاع الرئيس عليه .

وفى مساء اليوم التالى دق التليفون بجوار سريره واستيقظ على الفور وكانت الساعة الثانية والنصف وجاءه صوت فان يقول له :

ـ لقد قضيت اليوم مع الرئيس وانى اغادر لتوى البيت الكبير .

وقال :

ـ اذا كان يمكن صنع هذا السلاح فيجب ان نصنعه أولا وارجوك أن تقابلنى غدا فى الساعة التاسعة فى مكتبى وقد طلبت من ثلاثة زملاء آخرين أن يحضروا وسوف تكونون لجنة جديدة خاصة بأبحاث انشطار النواة ويجب أن تكتبوا لى تقريرا فى خلال شهر من الآن وقد يبدو العالم مختلفا حينذاك مما يبدو الآن عليه سواء من الأفضل أو من الأسوأ واذا كان تقريرك طيبا والعالم يبدو فى حالة سيئة فان الدولة كلها تقف وراءك بلا حدود .

فقال بيرتون هول :

ـ سوف أكون هناك .

ووضع سماعة التليفون وارتمى على وسادته ، لقد تحققت المهمـــة .

وفى السادس من شهر ديسمبر وقع باســـــمه على التقرير النهائى وكان فخورا بالسرعة التى انجزوا فيها هذا العمل . وبعد ظهيره اليوم التالى وفى الساعة الرابعة وبينما كان يقرا فى بعض صحف الأحد تذكر أن هناك مباراة لكرة القـــدم تذاع فى الراديو لتشرك أخبار القتال وفتح الراديو ليستمع الى المباراة ولكنه سمع صوت المذيع يقول فى تهدج واضطراب :

ـ اننا نوقف هذا البرنامج لنعلن أن بيرل هاربور قـــد دكت بقنابل الطائرات اليابانية .

وسقطت الكلمات على قلبه كضربات الحـــديد فوق لحم عار ونهض واقفا واستمر جامدا فى مكانه والدموع تنزل فوق وجنته . لقد اجيب على جميع الاسئلة اخيرا فقد دخلت البلاد الحرب .

ـ ٢ ـ

وفى صبيحة اليوم التالى الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٤١ استيقظ بذهن صاف وقلب هادىء لقد اتخذ القرار الكبير ولكن لم يتخذه هو . وسكتت المناقشات والجدل فقد أعلن من نفســـــه ورأيه سافرا أمامهم . ولم يكن يريد أن يوقظ زوجته فقد أزعجته بالأمس بنوبة من البكاء والعويل ، والحديث الطويل عن هذا الذى حدث وعن الخوف على أولادها من ويلات الحرب ثم سمع وهــو فى سريره جرس الباب وهو يدق وتطلع الى الساعة بجـــــواره فوجدها السابعة فنهض من سريره وأخذ يتحسس طريقــه الى أسفل . كان الصباح مليئا بالضباب وفتح الباب ومن بين هـــذا الضباب استطاع أن يرى شكلا نحيفا صغيرا يرتدى معطفا واسعا وعرفه وقال له :

ـ ادخل يا ياسوا . انك ستتجمد وانت واقف هكذا .

كان « ياسوا ماتسوجى » فنانا من اليابان تعرف عليه بيرتون هول منذ سنوات عندما كان يهتم بالفن اليابانى فى الجامعة منذ اربع وعشرين ساعة فقط كان يمكن ان يقول ان ياسوا صديقه فلم يكن يتصور أن يربط بين الفنان وبين عدوه أو اي عدو ولذلك لم يستطع ان يتكلم كما أن « ياسوا » لم يتكلم . وقف كل منهما يحملق فى الآخر وفى هذا الصمت الرهيب بدات الدموع تتدحرج من عينى « ياسوا » ورفع يده ليمسح الدموع ثم استدار مبتعدا عن المنزل وقد احنى راسه حتى لا تتاثر بالرياح الباردة التى تاتى من البحيرة .

ولم يستطع بيرتون هول أن يغلق الباب وراء هذا الرجل فقال له :

ـ ياسوا . تعال .

وشعر برهبة اذ خاف ان يسمعه احد وهو ينادى واحدا من اليابانيين ولكنه كرر دعوته وقال :

ـ تعال .

وعاد يا سوا مرتابا ووقف داخل الباب وانتظر فقال له بيرتون هول :

ـ تعال الى مكتبى .

واغلق الباب ثم سار معه الى المكتب ، وجلس « يا سوا » غارقا فى معطفه الكبير ثم شغل بيرتون هول نفسه باشعال النار ثم نظر الى ياسوا وقال له :

ـ اننى لا اعرف ماذا اقول فلم يتغير شىء بيننا فى الجوهر فيما عدا أن ...

فأومأ ياسوا وقال :

ـ كل شىء تغير عندك وليس عندى . انى أشعر بذلك ، اننى هنا لأقول لك اننى أدرك ذلك ولن اقول لك اغفر لى واغفر لبلدى فليس هذا ممكنا فانا لا استطيع ان اغفر لبلدى ، لقد هاجمونى

أيضا عندما قاموا بهذا الهجوم على أمريكا وأحب أن أقول انى احب أمريكا مثل اليابان فانا لا اتغير ، انا فنان وكل ما افكر فيه هو الفن الخالد نفس الفن في كل مكان دائما ، وانا لست عـدوا ولن اكون أبدا عدوا ، وانت لست عدوا لى فى قلبى ولن تكون ابدا ».

وقال بيرتون هول :

ــ اشكرك ، أعتقد ان الناس امثالنا يحـاولون أن يقولوا نفس الأشياء في بلدك وفى بلدى ويمكنك أن تستمر فى عملك كفنان ولكن بالنسبة لى : اننى مضطر لان اكون شخصا آخر الآن ، لا مجـرد عالم ، واعتقد انه يجب الا يرى كل منا الآخر حتى تنتهى هــذه الحرب الرهيبة ، وبلدك او بلدى هى المنتصرة ، ويجب أن تكـون بلدى يا « ياسوا » مهما كانت التكاليف لان بلدك اختارت ان تقف بجانب العدو ، ليس عدوى فحسب بل عدوك ايضا .

واخذ الرجل اليابانى ينصت وعيناه سوداوان بالمأساة ، كان يريد ان يتكلم وان يكشف عن نفسه فقال :

ــ لسوف يحدث شىء حالا ، انا لا اعرف ما هو ولكن سيحدث شىء ، وقد يعيدوننا الى اليابان وحينئذ لن تكون لدى فرصـــة للصداقة مع امريكا ولذلك أريد الآن أن اتحدث عن كل صـــداقتى للامريكيـــين .

واخذ يقص قصته وكيف جاء الى امريكا وشعر بيرتون هول بقلبه يتمزق ودعاه ليتناول قدحا من القهوة ، وبعد ســاعة غادر ياسوا المنزل واخذ بيرتون هول يراقبه من النافـــذة ويتذكر آلافا من اليابانيين الذين جاءوا الى امريكا ونسيهم وهو يفكر فى مشروعه الرهيب وقال لنفسه انه ليس مسئولا عنهم . ان امامه مهمـــة واحدة وهو ان يصنع القنبلة بأسرع ما يمكن . وعندما رأى ياسوا للمرة الثانية كان « ياسوا » وراء الأسلاك الشائكة لمعســكر من معسكرات التعذيب فى صحارى الأريزونا ».

كان البحث عن رجال يعملون معه هو المهمة التى تواجهــه الآن • ويجب عليه أن يبحث عن علماء من الشباب وكلمــا كانوا أصغر سنا كلما كان ذلك أفضل ، تحت سن الخامسة والعشرين ان أمكن فهو يريد عقولا جريئة لم تتعب بعد ذات خيال منطــلق حتى تكتشف الأشياء غير المحدودة • ولكن كيف يســتطيع أن يقنع ستيفن كوسنت وكيف يواجه هذا الضمير الرقيق جدا . انه يريد هذا العالم الشاب فهو ذو عبقرية أصيلة فهــل يخسره لأن أباه كان رجل دين ، وفجأة فكر فى جين فهى يمكن أن تســاعده فهناك شيء بين ستيفن وجين أم ان ذلك من تصوره ؟• فأمســك بسماعة التليفون وأدار رقم المعمل وكانت جين هناك رغم أن الوقت كان متأخرا وعرفت أن بيرتون هول هو الذى يتحدث فامســكت السماعة وقالت :

ــ نعم يا بيرت ماذا تريد ؟

فأجابها بيرتون هول بقوله :

ــ جين اننى أريدك أن تحضرى ، هل ستيفن عندك ؟

ــ لا ...

ــ حسن اذن أريدك أن تأتى لأنى أريد أن أراك بمفــــردك والموضوع خاص بالعمل بالطبع وانا وحدى الآن فقد ذهبت مولى الى حفــل •

ثم ضحك ووضع سماعة التليفون . لقد كان يحدث فى بعض الأحيان أن يوقظها من نومها ليقول لها انها امرأة جميلة ورقيقــة ولكن يبدو أنه لا وقت لذلك الآن كما انها لا تملك الوقت أيضــا لذلك الآن •

وكان بيرتون هول قد ومضت فى مخيلته فكرة رائعــة فلم لا تعمل جين مساعدة له واشعل نار المدفئة واخذ يتجــول فى القاعة جيئة وذهابا فى انتظار حضــور جين والآن ان ما يجب أن تفعله جين أولا هو أن تقنع ستيفن أن يتولى توليد البلوتونيوم ..

وسمع جرس الباب يدق والقى بقطعة من الخشب فى النيران قبل ان يذهب ليفتح الباب وعندما فتح الباب وجد جين تقف عنده في معطفها الفراء وشعرها الأسود يتطاير فى الهواء ودخلت وخلعت معطفها وقالت :

ـ لقد كانت المواصلات صعبة فالناس فى الشوارع لتشترى حاجيات عيد الميلاد .

فقـال :

ـ عيد الميلاد . لا تقولى لى اننا يجب أن نحتفل بعيد الميلاد هـذا العـام .

فقالت وهى تدفىء يديها :

ـ اننا لا نستطيع أن نتهرب من ذلك .

فتجاهل قولها وسالها :

ـ اتريدين شيئا تشربينه ؟.

فشكرته واجابت بالنفي وحينئذ امرها بالجلوس فجلست ونظرت اليه فى هدوء وقالت :

ـ ما الخبر ؟.

فقـال :

ـ أريد منك شيئين أولا لقد حصلت على منصب جديد فأنت من الآن مساعدتي وهذا يتضمن كل شيء فستكونين موضع ثقتى ولن امنع عنك اى سر وسلطاتك غير محدودة بالنسبة لي ويمكنك أن تناقشيني اذا رأيت انني على خطـأ ولا تلقى بالا الى نوبات غضبي وسوف تقرأين خطاباتي . وقصارى القـول ستكونين كل شيء .

فتطلعت اليه بنظرة باردة متحفظة وقالت :

ـ الى متى ؟

ـ الى ان ننجز هذا المشروع وبعد ذلك نرى .

ـ هلّ هذا ضروريّ يا بيرت ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ سوف أبذل ما في جهدي ويجب أن نبذل ما في جهدنا الآن . وماذا عن الشيء الثاني ؟ .

ـ أعرف أنك وثيقة الصلة بالعالم ستيفن كوست اليس كذلك؟

فرفعت عينيها السوداوين :

ـ لا أعرف ماذا تعني بذلك فاذا كنت تعني علاقة شخصية فانى أجيبك بالنفى .

ـ هل لديك علاقة شخصية بأى شخص آخر ؟ .

ـ ربما لا . فليس هناك وقت لذلك .

ـ اذن فكرى ماذا يكون عليه الحال عندما تتقدمين فى السن وتصبحين عانسا تعيشين وحدك تفتقدين الحياة .

ـ قل لى ماذا تريد ؟ .

فتنهد وهو يقول :

ـ اريدك أن تقنعى ستيفن بأن يقوم بمهمة توليد البلوتونيوم فهو رجل محترم بالرغم من آرائه الدينية الغريبة .

ـ هل استقر رأيك على البلوتونيوم .

ـ ان كل شيء يشير اليه يا جين وبالطبع سنحاول أن نجرب كل شيء آخر ، لقد ضيعنا الكثير من الوقت فى حجرات الاجتماع ويجب الآن أن نلتزم معاملنا فقد طلبنى زيجنى فى العام الماضى وقال انه ضاق ذرعا . فلم ينجز اى عمل جديد فى التفاعل المتسلسل بين أول يوليو عام ١٩٣٩ ومارس عام ١٩٤٠ . وظل يستحثنى أما فيرمى فقد سار فى المقدمة ومضى يعمل ويبدو أن العمل فى معامل بيركلى قد أعطانا الدليل النهائى وهو اليورانيوم الى بنتونيوم الى بلوتونيوم .

فقالت جين :

ـ أى يتحول يورانيوم ٢٣٨ الى بلوتونيوم معتمدا على عـدد النيوترونات التى تنطلق نتيجة انشطار ذرة اليورانيوم ».
ورمقها بنظرة اعجاب وقال :
ـ لم افسر لك كل شيء .
فقالت فى هدوء :
ـ اننى على اتصال بفيرمى ولا تنس انه كان أسـتاذى فى كولومبيـا .
فحول الحديث وقال :

ـ جين لقد قررت اللجنة أول أمس أن تمضى قدما فى المشروع وقد عاد اثنان من رجالنا من انجلترا وأنت تعـرفين من أعنى وهم يقولون ان البريطانيين يحرزون تقدما رهيبا بدوننا وقد قيل لهما ان النازيين قد طلبوا كميات هائلة من الماء الثقيل من النرويج ولو لم يكن ما حدث فى بيرل هاربور شيئا فظيعـا لقلت انه شيء من الحظ وانى لأعجب ماذا قال ستيفن عن هذا الحدث .

فقـالت :

ـ اننى لم أر ستيفن ولكن أين سيصنع هذا الانتاج ».
فاجابها بقوله :

ـ سوف يصنع هنا فى شيكاجو فى بادىء الأمر على اية حال حيث اكتشفنا لأول مرة اليورانيوم ٢٣٥ والذى بدونه لا نستطيع أن نبقى احياء اليوم يا جميلة ، لذلك عليك أن تقنعى ستيفن بأن يتولى هذا العمل .

فقـالت له :

ـ سأحاول .

وانتظر برهة لكى تكمل كلامها لكنها لم تقل شيئا آخر فجلس ينظر اليها امرأة جميلة رقيقة رشيقة فى أعماقها نيران خبيثـة وتطلعت اليه ورأت نظرته المبتسمة المسددة اليها وفجأة قفز من

الكرسيه ورفعها بين ذراعيه وهو يتجاهل عينيها المندهشتين وتمتم :
ــ جين ...
وشعر بيديها تبعد وجهه وتدفعه بعيدا بقوة عنيفة وقالت :
ــ دعني أذهب .
واسقط يديه وخجل من نفسه وادار ظهره لها ثم بحث عن منديله وأخذ يمسح وجهه ولم يستطع ان ينظر اليها ولكنه سمعها تقول فى ثبات ورصانة :
ــ اذا عملت معك فيجب ان تتحكم فى نفسك فالتحكم شيء ضرورى .
وحاول أن يضحك وسألته :
ــ متى ابلغك ؟.
فقــال لهــا :
ــ صباح غد فى التاسعة .
فقـــالت :
ــ سوف أكون هناك فى المعمل ..
وخرجت جين ووقف بيرتون هول يتطلع الى البـــاب المغلق ولعن نفســـــه .
سأل ستيفن جين :
ــ متى اقابلك ؟.
واخذت جين تفكر أنه ما يزال غاضبا منها وهذا جميل فهذا يعنى أنه لن يفعل شيئا من اجلى وسوف يتخذ قرارا ضد رغبتى ان امكن وحينئذ لن أكون مشغولة . واتفقا على ان يتقـابلا مساء اليوم التالى فى احد المطاعم الهندية ووصلت جين الى هنـــاك قبل الموعد المحدد لتختار المنضدة التى سيجلسان اليهـا قبل أن يصل ستيفن وحضر ستيفن وجلس فسألته وقال :
ــ متى ستبدأ الحرب ؟.

فقالت ببساطة :

ـ لقد بدأت .

وبعد أن تناولا الطعام الهندى الذى أثار بعض الحديث عن الهند قالت جين :

ـ ستيفن أن بيرتون هول يريدني ان اكون مساعدته وقد قبلت ذلك .

فقال لها :

ـ افعلى ما تشائين .

فقالت :

ـ وهو يطلب منك أن تكون مسئولا عن هذا الانتاج .

ـ لا استطيع ان افعل ذلك .

ـ سوف يتم انتاجه بدونك .

ـ بالطبع ولكن لن اكون مسئولا في هذه الحالة .

ـ قد تكون مسئولا عن الطريقة التى يستخدم بها .

واعتدل في كرسيه وقال :

ـ جين لا يجب أن نتجادل ، اننى مسئول عن شخص واحد وهو نفسي ، اننى لن أصنع سلاحا يقتل به الآخرون واذا كان هناك من يريد أن يصنعه فليصنعه اما انا فلا .

ـ اذن ماذا ستفعل ؟.

ـ سوف أعود الى معملي سوف أعكف على شيء لا يؤذى أحدا .

ـ يجب أن نتناقش في ذلك لأن المادة المشعة يمكن أن تعالج كما يمكن أن تقتل وحتى في القنبلة يمكن أن تنقذ بدلا من ان تحطم وتدمر ولم يقل احد اننا سنستخدم القنبلة فاذا صنعناها واوضحنا اننا نمتلكها فربما تنتهى الحرب دون أن نستخدم .

فحملق فيها وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه وقال :

ـ منطق « الفرد نوبل » عندما صنع الديناميت .

ـ لقد كان الديناميت أسوأ متفجر يستطيع أن يصنعه في هذه الأيام وستكون القنبلة أسوأ من ذلك بكثير حتى ان أحدا لن يستخدمها أبدا .

ـ هل تعتقدين ذلك ؟.

ـ نعم انني أشعر بما تشعر به ولكن لأني امرأة فأنا عملية أكثر منك وأعتقد أننا اذا جعلنا من الحرب شيئا رهيبا كما هي بالفعل وكما يمكن ان تكون فان الرجال سوف يوقفون القتال .

ـ وددت لو أصدق ذلك ياجين .

ـ ان هذا الانتاج سيصنع ، لا شك في ذلك فنحن في سباق رهيب وسوف يصنعه النازيون ان لم نصنعه نحن وهذه هي المشكلة ، اننا مضطرون الى صنعه ولكننا لسنا مضطرين الى استخدامه وربما نجربه حتى يستطيع العدو أن يرى ما لدينا .

وراح ينصت اليها وعيناه على وجهها وقال في همس :ـ

ـ كيف استطيع أن أقول انك على خطأ وكيف اعرف انني على صواب ؟ . فاعطني مهلة يا جين يجب أن اعاود التفكير .

ـ ليس هنالك وقت يا ستيفن .

ـ حتى غد .

ـ ليكن ولكن هل تبلغ بيرتون هول بنفسك لا؟

فقـــال لهـــا :

ـ نعم سوف ابلغه .

ثم نهض واقفا فلم يكن هناك شيء آخر يقال وترك النقود على المنضدة وسارا في صمت ليفترقا عند الباب ولم يوصلها الى البيت فلم يكن يريد ان يسمح بأن يشار ادنى احتمال من وجود علاقة بينهما كرجل وامرأة وقالت جين في نفسها ان هذا افضل ولكنها فزعت فجأة اذ تحرك في قلبها شعور غامض وغصة مفاجئة سببت

لها الما مفاجئا . ليس هذا مهما فليست اكثر من لحظة واحدة وقد اعتادت على هذه الوحدة .

ووصل ستيفن الى بيته وهو في حيرة . كان قلقا ولا يستطيع ان يفعل شيئا حتى هذه الامسية لم يكن على يقين من صوابه في رفض الاشتراك في صنع القنبلة الذرية وكان يعزل موقفه موافقة جين على ذلك والان هجرته جين ولم تهجره هو فحسب بل هجرت موقفه الاخلاقي ولو أنها كانت انضمت الى الجانب الآخر واستسلمت لأمر بيرتون هول لرضي بهذا الهجر ولكنها لم تستسلم ولكنها اتخذت موقفا أخلاقيا آخرا جديدا حتى أنه لا يستطيع أن ينكر ان هناك شيئا فيما قالته لقد وضعت على كتفيه عبئا آخـــــر ؛ فالقنبلة سوف تصنع وهي على حق حتى الآن ومهما يكن مايفعله فلن يستطيع أن يمنع ذلك ومع ذلك فاذا صنعها رجال ليس لديهم أي وازع عن استخدامها الن يشاركهم جريمتهم الاخلاقية هذه واذا عمل معهم كما قالت جين واثر فيهم الا يستطيع أن يقنعهم بان يعلنوا عن هذا العمل دون أن يستخدموه في هجوم خاطف يفوق الهجوم على بيرل هاربور في دماره وهلاكه الحياة البشرية . وارتكن براسه على حشيه الكرسي وندت عنه صرخة الم واغمض عينيه ولم يستطع ان ينكر ان المنطق يقف الى جانبها فهو منطق عملي على النقيض من مثاليته الأنانية .

نعم لقد حاول أن يهرب الى مثاليته ولكن جين اكتشفت هـــذا وواجهته به انها على حق بالطبع وعليه الآن أن يقرر كيف يستغل خدماته في صنع القنبلة ودخلت عليه هيلين ونظرت اليه وقالت :

ـ هل تخفي شيئا ؟.

فاجابها بقوله :

ـ انا لا اخفي شيئا . سوف اقول لك كل شيء ، سوف اسهم في صنع القنبلة وانا مقتنع بذلك فكل شيء قد تغير الآن يا هيلين، بيرل هاربور غيرت كل شيء ، فما كان ممكنا ليلة أول امس اصبح

مؤكدا الآن وليس هناك من مفر والأمل الوحيد المتبقى هو اننا اذا صنعنا القنبلة فيمكن أن نبلغ الناس اننا صنعناها كما نعرفهم بما يمكن أن تفعله هذه القنبلة، فقد يكون هذا كافيا كتهديد وليس كسلاح وانا لم أفقد اهتمامى ولكننى غيرت مركزه وبما ان القنبلة يجب أن تصنع فان واجبى أن افعل كل ما أستطيع للحيلولة دون استخدامها .

وأعربت هيلين عن فهمها لما يتحدث عنه وصعدا الى أعلى لتحتويهما حجرة النوم . وبعد يومين كان بيرتون هول يتحدث مع جين من مكتبه فى الجامعة ويقول :

ــ احب أن أعرفك أن اللجنة قد اجتمعت بمندوب من رياسة الجمهورية وآخر من وزارة الدفاع وكانا ينصتان ونحن نتحدث ولكننا افترقنا على وفاق ومهمتى ذات شقين فأنا مسئول عن تصميم القنبلة ذاتها وصنعها بعد ذلك وسوف أحتاج الى مئات الأرطال من البلوتونيوم ولكن كيف أحصل عليها ؟. وهناك ثلاث مشكلات وهى : كيف نحدث تفاعلا نوويا متسلسلا باليورانيوم العادى الذى نستطيع الحصول عليه وكيف يمكن استخلاص البلوتونيوم الناتج عن هذا التفاعل من اليورانيوم الذى يكمن فيه وكيف نصنعه بالدرجة التى لا بد منها لصنع القنبلة ؟.

فقالت جين :

ــ سوف نستخدم الجرافيت الذى يقول به فيرمى لنستخدمه كمهدىء ثم ان الماء الثقيل يستغرق وقتا طويلا لصنعه كنا اكتشف ذلك الألمان أما البريليوم فمن الصعب جدا الحصول عليه .

فقال بيرتون :

ــ ولكن هل أثق فى تجارب فيرمى التى اجراها فى كولومبيا انها تجارب قليلة ؟.

فأجابت : لقد أظهرت كيف تكثر النيوترونات .

فتنهد بيرتون وقالت جين :

ــ ان فيرمى سوف يقوم بذلك .

وسكت بيرتون هول قليلا ثم قال :

ـ اننا لا نستطيع أن نجازف ونعتمد علي طريقة واحدة لصنع القنبلة ويجب ان نفعل كل شيء في وقت واحد لذلك سنبدأ بالعمل بأربع طرق ويمكن ان تسميها أربعة جياد في سباق وليتنصر الفائز وهذا هو السبب في أنني أريد ستيفن كوست ليتولي تنفيذ الطريقة التي اراهن عليها .

فقالت :

ـ سوف يكسب .

فقال لها :

ـ أنت أدرى بالطبع .

ولم تجب على ذلك .

وواصل بيرتون هول بعد أن رمقهو بنظرات جانبية حادة قوله :

ـ فنقوم بتجارب الانفصال المغناطيسي في احدى الجامعات والانتشار الغازى في جامعة أخرى والانفصال المركزى في معمل ستاندرد اويل ولكن بالاشتراك مع جامعة ثالثة أما ستيفن كوست فيعمل هنا في شيكاغو تحت بصرك وبصرى وهؤلاء جميعا ليسوا في حالة تنافس فالتعاون يجب أن يسود بينهم فليس هناك شيء شخصى الان في العالم كله وأعرفك أن اللجنة سوف تجتمع كل اسبوعين في واشنطن على المستويات العليا بالطبع وفي سرية تامة ولكن سيكون معنا أكفأ الرجال من أوربا وانجلترا ونحن على استعداد لأن نمضى في الطريق ، لقد دخلنا الحرب منذ ستة شهور وقد استولت اليابان على الفيليبين وسنغافورة وسوف تستولى على أندونيسيا بعد ذلك أما النازيون فقد استولوا على أوربا ويحاول الثعلب رومل أن يستولى على شمال افريقيا ، انني لم أنم منذ اسابيع ، وماذا كنت سأفعل بدونك .

وتثاءب وارتكن في كرسيه الى الوراء وراح في النوم على الفور ولم يوقظه من نومه سوى رنين التليفون الذى أمسك بسماعته على الفور ليستمع الى زوجته تسأله عما اذا كان سيحضر الليلة الى

البيت ، وتبلغه أن واشنطن قد اتصلت به ثم ألقى بسماعة التليفون بعد أن أبلغها أنه لن يحضر ثم تحدث مع فان الذى طلب منه أن يراه غدا لأمر هام ثم قام وذهب الى الحمام ليضع رأسه تحت الماء حتى يفيق ثم عاد الى مكتبه وطلب جين وسألها :

ـ ألم تنامى بعد ؟•

ـ لا • فأنا أتوقع أن تناديني •

ـ انه يجب أن آخذ القطار التالى الى واشنطن وعليك أن تركبى الطائرة فى الصباح وتقابليني فى الفندق •

وبعد ساعة كان يستقل القطار الى واشنطن التى ما ان وصل اليها حتى ذهب لتوه الى مكتب فان كبير مهندسى الحكومة الذى كان ينتظره فى مكتبه ورحب به فان وعرض عليه تقريرا من المخابرات العسكرية يقول ان هناك بعض الأشخاص ذوى الميول الهدامة يعملون فى المشروع وكثر الجدل بين بيرتون هول وفان واخيرا حسم فان الموقف بقوله :

ـ ان رئيس الجمهورية قد اتخذ قرارا بأن يوضع المشروع كله تحت اشراف رجال الجيش واشراف الحكومة •

وحاول بيرتون هول أن يعترض على ذلك ولكن فان قال له :

ـ يجب أن ينفذ ذلك • ولا داعى للجدل وقد نوقش هذا القرار على المستويات الكبيرة بعد أن قرره الرئيس •

وتلعثم بيرتون هول وهو يشعر باليأس وقال :

ـ ان هذا يتعارض مع تقاليدنا والعلماء الذين يعملون معى ولن يعملوا فى ظل هذا الاشراف انك لا تعرفهم مثلما اعرفهم وأنا واحد منهم ثم ان وظيفتنا هى الثورة على القواعد والروتين• فقال فان مقاطعا :

ـ هذه مشكلتك وليست مشكلتى كما انى أريد منك ان تقابل الجنرال الذى يتولى هذا الموضوع وسوف تذهب اليه فى مكتبه •

وتبعه بيرتون هول الى مبنى آخر والى مكتب آخر وخلف المكتب الكبير كان يجلس رجل ضخم في زيه العسكرى وقدم فان بيرتون هول بقوله :

ـ دكتور بيرتون هول أكبر علمائنا •

وقال الجنرال :

ـ انني سعيد بمقابلتك يا دكتور هول •

ثم تركهما فان وحدهما وانصرف •

وفي المساء وفي الفندق أخذ بيرتون هول يحكي لجين مقابلته مع الجنرال وكيف أنه قد استقر الأمر عن أن يتولى العسكريون والحكومة الاشراف على الموضوع وكيف انهم ـ أى العلماء ـ قد أصبحوا مكلفين مثل الجنود تماما كذلك سرد على مسمعها كيف أن الجنرال قد صمم على أن ينتج القنبلة على نطاق واسع وكيف أن العلماء غير مسئولين عما تتطور اليه هذه الصناعة وقد قال له بيرتون آنذاك :

ـ اننا نقبل مسئوليتك للمشروع ولكننا لا نستطيع أن نتملص من مسئوليتنا عن اطلاق الطاقة الذرية ، انه يجب أن يكون لنا رأى في تطوير واستخدام ما اكتشفناه بانفسنا ولا يستطيع احد أن يعفينا من ذلك •

وبعد أسابيع طلب الجنرال أن يقابل المسئولين في الجامعة والعلماء وعائلاتهم وكان يقول :

ـ انني أريد أن اعرف الرجال الذين اعمل معهم واريد أن أعرف زوجاتهم على وجه الخصوص فيمكنك أن تعرف الكثير عن الرجل اذا عرفت زوجته وقد قص بيرتون هول على جين في مكتبه ما حدث أيضا في ذلك اليوم وضحكت جين في رقة ثم اخرجت خطابا من حقيبتها وقالت :

ـ يهمك بالطبع أن تعرف أنني تلقيت اليوم خطابا من الهند من رجل أعرفه هناك يعمل بالكيمياء الحيوية فقد كنا معا في

مدرسة واحدة عندما كنا أطفالا ولم أره منذ سنوات وهو يقول لي في خطابه انه تلقى تقريرا من المانيا عن طريق اليابان يفيد بأن العلماء الألمان يقولون بأن العلماء الأمريكيين لا ينوون صنع القنبلة وهم يعتقدون ذلك لأن العلماء الأمريكيين في المؤتمر الدولي الأخير لم يتحدثوا عن النواحي العسكرية للانشطار النووي وأعتقد أن هذا سيفرحك •

فقال لها :

ـ بالفعل لقد توقفنا عن الحديث عن الانشطار النووي أو الكتابة عنه كما تعرفين وقد كنت حريصا على ذلك حتى في الندوة التي عقدتها حول الأشعة الكونية فقد تحدثنا عن كل شيء مع العلماء الألمان فيما عدا الدفاع •

فقالت جين :

ـ ان هذا يختلف كثيرا عن علمائنا الأمريكيين الذين عادوا من برلين هذا العام أتذكر •

فتنهد بيرتون وهو يقول :

ـ هل أذكر ؟•

ـ انشطار النظائر هو الطريق المباشر للقنابل الذرية !• ولكن كيف يقول فيرمي انه يشك في أن الألمان يصنعون هذا السلاح الرهيب ، هل تعتقدين أنه على حق يا جين ؟ مائة في المائة ؟•

فقالت :

ـ طبعا على حق انني اذا شككت فيه فانني أشك في نفسي وفيك أيضا •

وهنا قطب ما بين حاجبيه وتظاهر بالغيرة العنيفة فضحكت جين مرة أخرى وأومض في عينيها بريق من الرقة والعذوبة ، ان

هناك شيئا جميلا فى هذا الرجل الكبير شيئا مؤثرا ربما كان يمكن أن تحب مثل هذا الرجل لو كان الحب ضروريا .

ولم يعد يستطيع بيرتون هول أن يتملص من الجنرال أو يهرب منه بعد أن أصبح مشرفا على المشروع . وكان هذا الجنرال لا يفتأ يستدعيه ليصدر اليه الاوامر ويلقى اليه بالتعليمات عما يجب أن يتم .

وما كاد يمضى يوم واحد على المقابلة الأخيرة بينهما حتى استدعاه ليأمره بمقابلة كريستوفر ستارلى نائب المدير التنفيذى لشركة « كانادى فاريل » التى ستتولى الانتاج على نطاق واسع . وقال ستارلى :

ـ يجب أن يعرف الجنرال وأنت أيضا أن المشروع كبير . ويجب أن تصمم المصانع الكبيرة لذلك ، وأن نتطور بأشياء جديدة لا نعرف عنها شيئا حتى الآن . واننى لأخشى أن تنتهى الحرب ونحن لم نعمل فى المشروع .

ثم استدار ستارلى الى الجنرال وقال :

ـ سوف نبدأ العمل فى اللحظة التى يقدم لنا فيها العلماء الانتاج .

فأعلن بيرتون :

ـ سوف يكون لديك فى خلال ستة شهور .

وفى اليوم التالى ، وكان يوما من أيام نوفمبر ، استمع ستيفن ركوست الى قصة هذه المقابلة تعاد على مسامعه . وأنصت فى اهتمام الى أن أعلن بيرتون هول عن قراره النهائى .

وبعد ذلك تحدث ستيفن وعيناه تنظران خارج النافذة :

ـ اعتقد اننا يمكن أن نحدث التفاعل المتسلسل هنا فى شيكاغو .

ـ وما هو تحليلك لذلك ؟ .

ـ باختصار ، ان التحكم هو العامل المهم ، كمـــــا تعرف • واحتمال التحكم يكمن في هذه النيوترونات القليلة المتـــأخرة في عملية الانشطار ، هذه النيوترونات التي لا تنقسم على الفور ولكن تنقسم بعد عدة ثوان • وأنت تعرف ما يعنيه هذا عندما تكـون الظروف مناسبة لتفاعل متسلسل ثابت • وهناك فترة من الوقت في عملية الانشطار وهذا يعطينا فرصة في التعديل • لقد فحصت تقديرات فيرمي مئات المرات • وسوف نعمل في ظروف تكاد تكون ثابتة حتى انه سيكون لدينا عدة دقائق قبل أن يضاعف التفـاعل من قوته • وسيتيح لنا ذلك الوقت لكي نتحكم •

وفغر بيرتون هول فاه :

ـ ولكن شيكاغو في وسط مدينة كبيرة •

فقال ستيفن :

ـ لست ادري ماذا يمكن أن يحدث من خطأ • سوف نجعـل التفاعل يمضي في بطء ، لذلك لن تكون هناك فرصة لان يخرج من تحت سيطرتنا •

وشعر بيرتون هول بالضيق والقلق وأعرب عن رغبته في أن يذهب الى العمدة او الى مدير الجامعة او الى أى شخص •

ولكنهم جميعا سيرفضون • فأى شخص عاقل سوف يرفض، لأنه لا يستطيع أن يتحمل المسئوليه •

ولم يجب ستيفن • وجلس لا يتحرك ، يداه في جيوبه ،وكان يحملق عبر النافذة • وكان يشعر بصداع غامض ، وبألم عميق • وتنهد بيرتون هول في يأس مباغت ثم قال :

ـ سوف اتحمل انا هذه المسئولية • ليس هناك شخص آخر يتحملها . امض في طريقك يا ستيفن .

وفتح الباب في هذه اللحظة وظهرت جين ايرل على الباب • وأخذت تنقل بصرها بينهما ، ولكن كلا منهما لم ينظر اليهـــــما • فتراجعت وأغلقت الباب مرة أخرى •

نزع ستيفن الترمومتر من فمه ونظر اليه وقال بامتعاض :
ـ مائة وثلاثة •
فقالت هيلين :
ـ اذن لا يجب أن تقوم من السرير
ـ يجب أن انهض •
ـ لا تستطيع •• واذا سمعت كلمه اخرى فسوف أبعث الى بيرتون هول لكى يحضر •
ـ انه فى نيو مكسيكو •
فقالت :
ـ هل هذا يهم ؟•
ثم اختفت بسرعة ورقد هو فى سريره مغيظا • فمن كان يعتقد أنه بمجرد ان يطير بيرتون هول منذ ثلاثة أيام الى مكان غير معروف فى الصحراء أن يثور أربعة من زملائه العلماء ، الذين كان يمكن أن يقسموا على مساعدته وتعضيده ، على شيكاغو كمكان تجرى فيه هذه التجربة الهائلة •
لقد قال له بيرتون هول وهو يتركه :
ـ ان الأمر كله فى يدك يا ستيف •
ان الأمر كله فى يده • وهو الآن راقد فى سريره يعـــانى من الانفلونزا • ان الاجتماع الذى سيقرر كل شىء كان يجب أن يكون فى مكتبه بعد ساعة من الآن • ولم يجرؤ على أن يتحدى نفســـه ويغادر الفراش • فمن المهم أن يكون فى صحة جيدة •
وجاءت هيلين بطبق من الحساء لم يكن لديه رغبة فى تناوله •
وتحدث مع الرفاق حتى يحضروا اليه • وبعد نصف ســاعة كان أربعة من الرجال يجلسون حول سريره ، وكلهم علمــاء يجب أن يحترمهم بل وفى حاجة اليهم أيضا • ومنطقهم يتعارض مع منطقه، ولكن هذا المنطق يجب أن يحترم •
ـ ان المركز الرئيسى لهذا العمل فى كولومبيا الآن •

ـ أوبرنستون .
ـ اذن ما معنى المجيء به هنا ؟»
ـ ان مسير العمل هنا بطيء جدا يا ستيف . انك لن تحصل على التفاعل المتسلسل هنا في شيكاغو .

فقال ستيفن :
ـ سوف يكون قد حدث في نهاية هذا العام .
ـ أراهن أنك لن تستطيع . أراهن بألف دولار .»
ـ وأنا موافق أمام هؤلاء الشهود .

ثم وقف وقال :
ـ تعتقدون أيها الرفاق انني لست جادا . انني جاد . وقد استمعت الى منطقكم . فالمعمل والمكاتب هنا جيدة . وتذكروا انني مسئول عن المشروع . انه يجب أن يكون حيث أستطيع ان أشرف عليه . ويمكن أن آتي بالعلماء هنا ووزارة الدفاع قد جمعت كل الرجال الأكفاء على الساحل الشرقي . ولا أعرف من أين أجد رجالي هناك . ولا تنسوا أنه حيث يوجد رجال توجد عائلات ويمكن أن نجد سكنا هنا . والأهم من ذلك أننا لا نكون عرضة للقنابل مثل الموانيء الساحلية .

وكان الدم قد تدفق الى مخه . فشعر بالحمى ترتفع ، وجسده يزداد حرارة . فرقد على الوسائد .

ـ سوف أقرر وهذا شيء نهائي . سوف نبقى في شيكاغو . هنا سنفعل كل شيء .

وساد الصمت وفجأة تكلم أحد العلماء :

ـ ولكنك نسيت شيئا هاما وهو أن فيرمي في نيويورك ونحن لا نستطيع أن نعمل بدون فيرمي ، فقال ستيفن :
ـ سوف يأتي فيرمي الى هنا .

وفتح عينيه الملتهبتين وحملق فيهم متحديا اياهم أن يجيبوا . ولكنهم لم يقولوا شيئا . ثم ودعوه وانصرفوا .

وعندما انصرفوا أمسك بسماعة التليفون وطلب فيرمي مكالمة شخصية • وتحدث مع فيرمي • وبعد خمس عشرة دقيقة حصل على الوعد الذى يريده • ثم وجد هيلين وهي تمسك بطبق الحساء فأخذه منها وقال :

ـ سوف أشربه لقد كسبت هذه الحرب الخاصة •

ارخى بيرتون هول العنان لجواده .. كان هواء الصحراء صافيا وباردا فقد كان الجو خريفا وكانت الجبال تتراءى أمامه على بعد وقال لجين :

ـ انني آتي الى هنا لأني أشعر اننا سوف نستخدم هذا المكان وعلى الأخص هذه البقعة التى على مرمى البصر وأنا لا احب أن آخذك الى هناك لانى أخشى كلام الناس فى هذه المنطقة ولكنه مكان مثل القلعة وهو ملائم جدا للتشطيبات النهائية وباركيز لديه التصميم أما ستيف فلديه المعدات وعندما تتم هاتان العمليتان وتجرى التجربة الكبيرة تحت اشراف فيرمي ونكون أنا وأنت هناك للتشطيبات فحينئذ سنكون على استعداد لأن نمضى قدما وسنصنع السلاح » فسألته جين :

ـ وبعد ذلك •

فقال في ابتهاج :

ـ حينئذ يا فتاتي الصغيرة سوف اذهب بعيدا فعندما تصنع القنبلة سوف اعتزل كل شيء أخشاه وأمقته وسوف أفعل كل ما احبه وافرح به وأرضاه وسوف يشتمل هذا على كل شيء وأكثر مما تعتقدين يا فتاتي الطويلة •

فابتسمت له • فهذه الشهور التى عملتها تحت اشرافه الرائع كادت أن تقربها من حبه وهي تعرف ذلك تماما ولم تحدث بينهما كلمة ولكنهما اقتسما الشيء الكثير وعندما نظرت اليه الآن عرفت أنه سيكون من المستحيل فى يوم من الأيام أن تقاومه ويجب أن تستعد لذلك اليوم وتلك الساعة التى تنطلق فيها التوترات المتجمعة في عملهما المشترك ويجب ان تكون على ثقة من نفسها ثقة بانها تعرف ما تريد وفجاة سألها بيرتون هول :

ـ هل تحلمين ؟.
ـ أحـــلم ؟
ـ نعم تحلمين ...
ـ انني لا أحلم أبدا .
ـ ولكن عينيك عينا انسانة حالمة .
ـ يحتمل أنها تحلم في النيوترونات .
ـ انك لا تستطيعين أن تهربي منى بهذه الطريقة فالنيوترونات هي السر يا فتاتي وبدونها لا نستطيع أن نحول العناصر ونجعل من أحلام رجال الكيمياء حقيقة في النهاية فليس هنـاك انفجار بدون نيوترونات . وضحكا معا وقال :

ـ استطيع أن أحبك أيتها المرأة ، أعنى أحبك حقا فاية متعـة يمكن أن تعادل ما نستـمتع به ؟ فانا أتحدث وانت تفهمين وانت تتحدثين وانا افهم ، وهـــذا يكفي اليس كذلك ؟ ولكن النســوة يطبيعن وقتهن في الأحمر والمساحيق وكل هذا الكلام الفــارغ فعندما يجيب عقلك على عقلى فى التو واللحظة فانني اسـتطيع أيتها الأنثى الفريدة أن ...
فقاطعته قائلة :
ـ انتظر ، انتظر .
وتبادلا نظرة طويلة واقترب بجواده من جوادها حتى تلامست وكبتاهما وقالت :
ـ لا يا بيرت لا أجرؤ .
ـ ولم لا .
ـ أنا لا أثق بنفسى .
ـ بالتأكيد فلست أنا الذى لا تثقين به .
والتفت اليه بنظرة قلقة وهمزت جوادها حتى ركض يسـبقه وارتفع بينهما التراب الذى أثارته اقدام الجواد الراكض .
كان ستيفن كوسنت يرتعد في برد ديسمبر وهو ينتظر الترام . كان اليوم الثانى من الشهر ومع ذلك كان الجو باردا مثل منتصف

الشتاء تماما . وكانت حرارته قد انخفضت عشر درجات . وكان قد ترك السيارة لزوجته فان عليها أن تقوم بعدة زيارات للعائلات التي تحت رعايتها وذلك منذ أن جاء العلماء بعائلاتهم إلى شيكاغو كان هناك أطفال صغار يجب أن يؤخذوا إلى المستشفيات ، كما كان يجب أن تقوم بشراء بعض الحاجيات للأمهات اللاتي لديهن أطفال صغار . وكان الترام مزدحما . بل ان الانباء من الخارج كانت سيئة . وأخيرا استطاع أن يشق طريقه بصعوبة الى احدى المركبات في الترام وحشر نفسه بين الناس . وكان مرهقا من الأرق . لقد ترك التجربة منذ ساعتين ليذهب الى المنزل ليغتسل ويأكل وينام لمدة ثلاثة ارباع الساعة . بينما كانت هيلين تجلس بجوار التليفون خشية أن تكون هناك مكالمة من احد . وكان يجب أن يغتسل يوما بأكمله حتى يزيل الجرافيت من فوق بشرته . وكانت أظافره سوداء مثل اظافر الذى يعمل في منجم للفحم . وسألته هيلين :

ـ لماذا تتسخ هكذا ؟

فأجابها في جد وصرامة حتى أنها لم تعاود السؤال :

ـ أود ان اقول لك كل شيء .

وعاد ليرقب التجربة . وجاء عدد من العلماء . وعبر المكان رأى بيرتون هول ثم رأى جين . ولم يكن قد رآها منذ شهور . وأوما لها أنها مع بيرتون هول كل يوم . وكيف يكون رجل عاطفي وحساس بالرغم من ذكائه معها كل يوم ولا يقع في حبها ؟ . وبما أنها ما تزال مع بيرتون هول فماذا يعني هذا سوى أنها استجابت له ؟ .

واستدار بظهره اليهما ، وحينئذ وجد بيرتون هول بجانبه ، وكان مضطرا لأن يصافح يده الممتدة اليه . وقال بيرتون هول :

ـ انني لم اكن لاترك هذه الفرصة مهما كان الأمر ياستيف . فهذا أعظم يوم في تاريخ البشرية ؟ .

ـ فقال ستيفن في تشاؤم :

ـ يحتمل ان يحدث خطأ .

ـ انني اراهن عليك وعلى فيرمي .

ــ شكرا .. ان التجربة تنجح على الورق ، ولكن من يعرف ؟!
وسار ستيفن ، غير مستطيع أن يتحمل الحديث ،وأخذيتفحص بعض الاجهزة . لقد ازدادت سرعة عـــداد النيـــوترون بالأمس !
واستيقظ فيرمي في الليل ليستمع الى الانباء . وأعدكل شيء لتجربة هذا الصـــــباح .
ووقف فيرمي امامهم الآن وقال :
ــ لقد وصلنا الآن الى الهدف الذي نسعى اليه منذ فترة طويلة لقد بدأ التفــاعل المتسلسل . اننا نجرى الآن اعظم تجربة . ويجب ان نعرف أنه لا يجب أن يبدأ التفاعل المتسلسل فحسب بل يجب أن نعرف كيف نوقفه كذلك .
وبدأت التجربة وأخذ ستيفن يصدر أوامره الى العاملين ، ومرت دقائق . وصمتت القاعة الكبيرة فيما عدا دقات الآلات .. ودوران المحرك . ونظر الى جين . كانت ترتكن الى الحائط وكان وجهها أبيض وعيناها سوداوتين . ولم تنظر اليه ، أما هو فقد ابعد نظره عنها .
وفجأة صاح فيرمي :
ــ ضعوا قضبان الأمان . . لقد تم التفاعل .. وأمكن ايقافه .
وانتهى ما حدث .
وأخذ فيرمي يفكر في الخطوة التالية ، أما بيرتون هو فقد ذهب الى التليفون . وسمعه ستيفن يتحدث ويقول :
ــ لقد هبط هذا البحار الايطالي في العالم الجديد .
وشعر ستيفن بأنه يريد أن يبكي . فالاعياء وعدم التشــجيع والقلق الذي أصابه في الأسابيع الماضية ،ظهر فجأة مختلطا بالارتياح والاباء وفرصة النجاح . كان حزينا جدا .. وتمنى لو أنه فشـــل ! فماذا سيفعل الرجال بنجاحه ؟ والى اى مدى يعتبر مسئولا عما قد يفعـــلونه ؟.
وكان الجنرال يتحدث مع فيرمي الآن عند الباب لا شيء سوى الانتصار على هذا الوجه المتألق . وفجأة وجد يدا تلمس كتفه .. كان « ستارلى » رجل الصناعة الشاب الذي قابله اليوم فحســب وكان وجهه الانيق يتألق وهو يتحدث :

ـ انني اهنئك ياكوستنت .

وشكره ستيفن وشعر بالهدوء للحظة . واخذا يتحدثان قليلا ثم نظر ستيفن الى الفرن وابتسم مرة اخرى ثم سار فى رشاقة مبتعدا عن المكان . ولكنه توقف فجأة واخذ يحملق الى الفرن وسمع صوت بيتى بجانبه وقالت :

ـ لقد فعلتها ياستيفن

ولم يدر راسه وقال :

ـ أرجوك لا تهنئينى .. لا استطيع أن أتحمل ذلك فى هذه اللحظة .

ولم تجب ، ولكنه شعر بيده فى قبضة يديها الدافئتين ، ونظر اليها مندهشا ووجد وجهها رقيقا وناعما . ووقفا لحظة يدا فى يد وفى هدوء سحبت يدها وتركته لتتبع بيرتون هول .

الكل غادر المكان وتركه وحده ، فيما عدا هذا الفرن حيث تحترق نيران أقوى مما يمكن أن يتصوره انسان . ولكن الانسان ، فى جهل سعيد ، لم يعرفها حتى اليوم . والآن ، وقد عرفها لا يمكن أن يخلد للجهل مرة أخرى .

وفجأة نهض ستيفن ، وهو لايستطيع أن يتحمل هذه الوحدة وأسرع الى بيته وقال لزوجته :

ـ سوف أذهب لأنام .. لا توقظينى مهما يكن من امر »

ـ ٣ ـ

وفى منطقة « تينيسى » ذات الجبال المنخفضة كان الربيع قد اشرق مرة اخرى . وفى الوادى الكبير كان ستيفن كوست ينصت الى المقاول وهو يشرح له ، وهو يفرد أمامه بعض الرسومات ، كيف سينشىء هذه المدينة الجديدة التي ستبدأ فيها الخطوة التالية .. واخذ يحملق فى المنطقة البيضاوية الشكل حيث سيقام الجهاز الكبير الذى سيقوم بالعمل ، وهو الانفصال المغناطيسى لنظائر اليورانيوم . وفى الاسبوع الماضى كان قد خطرت له فكرة عن

المغناطيس . وكان النحاس هو المشكلة . واخذ يفكر في هذه المشكلة

ان الحرب تستنفد الموارد القومية من النحاس وهو يريد النحاس للمغناطيس وبكميات كبيرة . ولكن لايمكن ذلك . فاخذ يستعرض المعادن التي يمكن ان تتحول . ان الفضة يمكن أن تتحول ، ولكن أين يمكن أن يجد ما يكفي من الفضة ؟ وحينئذ تذكر الاحتياطي الكبير من الفضة في وزارة الخزانة الامريكية . ولم لاتستخدم هذهالكميات يستعيرها ثم يردها دون أن تفقد شيئا ؟ ومضى بفكرته الى الجنرال، ولم يستطع مقابلته فتحدث مع مساعده الذي دهش لهذا الطلب. وبعث بالطلب الى وزارة الخزانة ووو فق عليه على شرط أن يعود هذا المعدن نفسه .. وجاءت هيلين من اعلى التل من الغابات ، وفي يدها بعض الورود وقالت :

ــ اريد بيتي هنا ، وسوف احبه أكثر من شيكاغو ، لقد كنت أريد دائما أن اعيش على تل بجوار نهر .

فقال المقاول وهو يشير الى مكان على الرسم الذي أمامه :

ــ سيكون هنا منزلك ياسيدتي .

وعلى طول الطريق وهما عائدان الى شيكاغو كانت تتحدث عن المنزل .وقالت :

ــ ليس هذا منزلنا الحقيقي ياستيف ، كما انه ليس ذلك الذي ستشتريه لي في يوم من الأيام ، ولكن يمكن أن يكون بيتا مؤقتا ، وسوف أجعل منه شيئا جميلا .

ولم يتحدث معها عن مهمته ، وعن الاسرار الكبيرة التي يعتبر مسئولا عنها الآن . ومع ذلك كان يتوق لأن تقتسم معه بعض حياته لقد حدثته حين ماذا يعني أن تكون هناك امرأة تستطيع ان تقتسم معه حياته العلمية الداخلية . وقال على الفور :

ــ انني اريد المساعدة . انك بتحويلك المنزل الى شيء جميل ، فانك تحفزين الاخريات على ان يفعلن الشيء نفسه . فالرجال

ليسوا اسعد ابدا من زوجاتهم .. هل تعرفين ذلك ياهيلين ؟فامرأة ساخطة يمكن أن تقضي على عمل اى رجل . لقد رأيت ذلك يحدث مرة ومرة في العمل . ولانستطيع أن يكون بيننا رجل يعـــوقه عن العمل متاعبه في البيت . الا تسمعين النسوة وهن يعربن عن شكواهن من هذه البيوت الخشبية القبيحة وانهن بعيدات عن بيوتهن وكـل ما اعتدن عليه ؟ سوف تكون هذه المهمة كبيرة بالنسبة لك ومهمـة جـدا كذلك .

وفي شهر ديسمبر اعترف بأن هيلين ذات قيمة كبيرة له وانتقلا الى المنزل الخشبي الصغير وفي شهور مابين الربيع والشتاء انتهى بناء المصنع وتم تشغيل المغناطيس الكبير كذلك تم بناء المفـــاعل الجديد واخذ ستيفن يفكر فيما بينه وبين نفسه ويقول ان هـــذا المبنى ليس جميلا في شكله ولكنه جميـــل في طاقته ففيــه أمل المستقبل للانسان عندما تنتهى هذه الحرب اللعينة وجاء الجنـرال لزيارة المدينة الجديدة التى كان يتدفق اليها كل يوم وفير من الناس حتى اصبحت في النهاية تضم خمسة وسبعين الف نسمة وشيدت مدارس اخرى وبنيت الكنائس وبعض المستشفيات ومسرح صغير وناد للموسيقى .

وفي هذه الاثناء لم تستطع جين ان تبقى في عملها اكثر من ذلك وطلبت من بيرتون هول ان يعفيها من منصبها كمساعدة له وكثيرا ماناقشها في هذا الموضوع واستعطفها بل واتهمها بأنها تحب شخصا آخر ولكنها كانت تنكر ذلك كله وتقول :

ـ انك عالم يابيرت ويجب أن تدرك ان العالم لايكون سعيدا الا اذا كان في عمله هو .

فاجابها بغضب :

ـ ولكنـك امرأة .

فصرخت في غضب :

ـ انني عالمة قبل كل شيء متى تعرفون ماذا نستطيع أن نفعل دون النظر الى من نكون ؟ يجب أن أذهب .

وازاء تصميمها سألها :

ـ أين تريدين أن تذهبي ؟.

فاجـــابته :

ـ اريد أن أعمل في المشروع الجديد فلدى أفكار جـــديدة عن البلوتونيـــوم .

فتركها وذهب الى ستيفن كوسنت في معمله ودار بينهما حديث عميق فكل منهما لم يقابل الآخر منذ عدة شهور وقضيا اليوم في التنقل من مبنى الى مبنى وانتهيا الى مصنع الانتشار الغـــازي الجـــديد وهو على بعد أميال من المدينة الجديدة ثم استـــدار الى

بمفاعل الجرافيت ووقفا أمامه طويلا ينظران اليه فى رهبة وحب ، وكان هذا المفاعل يعمل منذ شهور على خير مايرام وقال ستيفن :

ـ عندما تنتهى هذه الحرب سننتج نظائر البحث فى كل مناحى الحياة البشرية ، من علم الاحياء والطب والزراعة والصناعة متى ستنتهي هذه الحرب يا بيرت ؟

ـ بعد أن ننتهى مهمتنا بيوم واحد .

ـ ومتى هذا اليوم ؟

ـ لم يحدد بعد فالجنرال لا يتحدث عنه وكل قرار يتخذه يقوم على أساس الوقت واذا تأخر المشروع يوما فانه يرفض .

فقال ستيفن :

ـ لقد سمعت اننا كنا نستطيع ان ننجز هذا المشروع فى وقت أسرع بدون رجال الجيش أو رجال الصناعة .

فقال بيرتون هول :

ـ اننا لا نستطيع أن نغير ذلك الآن .

وعاد الرجلان الى المكتب وجلسا واغلق ستيفن الباب وسأل بيرتون هول :

ـ الى اين ستذهب عندما تخرج من هنا ؟ .

فاجابه بيرتون هول بقوله :

ـ سوف اعود الى شيكاغو فلدى مهمة يجب أن انجزها مع مهندس شركة كانادى فاريل انهم رجال أكفاء ولكنهم ليسوا علماء ويجب ان نعلمهم هل تدرك ماذا نفعل ؟ لقد فتحنا أبواب الكون ونحن ندفع الناس الى عالم جديد يرهبهم وسوف يباركوننا أو يلعنوننا ان هذه الطاقة الذرية اقوى من الطاقة الكهربائية بملايين المرات ماذا كان يمكن ان يقول ابى ؟ كان سيقول اننا فتحنا أبواب السعير وقد نكون فعلنا ذلك بالفعل .

فقال ستيفن :

ـ ارجوك لا تتكلم ، لا يمكن ان تكون بهذه الطريقة .

وفى المساء رقد على سريره بلا نوم وفجأة تذكر انه لم ير جين فهى لم تأت معه ولكن ترى أين هى وماذا تفعل •

وفى اليوم التالى طلب ستيفن كوست بيرتون هول ليطلب منه ان ينقله من المشروع ووافق بيرتون هول وأبلغ ستيفن زوجتـــه بأنهم سيغادرون هذه المدينة فى اليوم التالى •

قال ستيفن لجين :

ـ هذا ما حدث لقد مضى اسبوع ولم يجدا فرصة للكلام الا فى هذا اليوم •

والآن وفى وقت متأخر بعد الظهر سارا فى الطريق المؤدى الى سلسلة الجبال وصعدا الدرجات الصخرية ونظـرا الى جين التى كانت تتبعه وقال :

ـ شيء جميل ان يكون مع الانسان شخص يتحدث اليه ويعرف ما أتحدث به •

فقـــالت جين :

ـ انني لسعيدة اذ رأيتك يا ستيفن •

فقال لها :

ـ لقد كنت مع بيرتون •

فقـــالت :

ـ بيرتون هول ليس انت •

وجلس كل منهما بجانب الآخر وتلامست أيديهـــما فأثارت اللهيب وأحس برعشة الدماء فى عروقه ، كان يريد أن يتحـــدث ولكن لم يكن يجرؤ فهو فى حالة مفزعة ولا يجب أن يخلط هـــذه العاطفة بالحب فهو يحب زوجته وبصعوبة استطاع أن يسيطر على نفسه فى الطريق وهو عائد الى بيته فى العربة مع جين بل بكثـير من الصعوبة لأنه لمح فيها نفس الرغبة تجاهه وهذا دون أن يكون هناك حب بينهما ثم استدار اليها وقال :

ـ جين أريدك أن تعرفي انني لم أكن أعرف انك هنا عندما طلبت من بيرت أن ينقلني الى هذا المكان .

فسألته :

ـ الم تكن تأتي لو عرفت ذلك ؟!

فاجابها بتردد :

ـ « لا اعرف » .. نعم كنت سآتي لانني اريد أن أعمل في هذا السلاح انني اشعر بانني مضطر لان اعمل فيه .

وتردد مرة أخرى حتى اضطرت هي أن تتكلم فقالت :

ـ واصل حديثك لا يجب أن تخاف مني وأنا لن أخاف منك اننا علماء أولا .

وبعد أن قالت ذلك مضت في طريقها أسفل الجبل .

وفي ذلك المساء وعلى مائدة الطعام وفي منزل يشبه المنزل الذي كان في تينيسي توقف ستيفن عن الطعام وقال لزوجته :

ـ اريدك أن تعرفي انني لا أنوي أن أرى جين وحدها عندما أكون هنا .

فصاحت فيه :

ـ لم تخاف أن تراها وحدك لا بد انك تحبها ؟!

فقال والم صادق ينبثق من عينيه السوداوين :

ـ انني لا احبها ولا أريد أن أحبها ولا اريد ان احب احدا سواك

فقامت ووضعت ذراعيها حول عنقه ومسحت بخدها حول شعره وهمست :

ـ انك تقطع نياط قلبي يا ستيف .

وجاء ربيع عام ١٩٤٥ واجتمع الجنرال وبيرتون هول و « ستارلي » ليتدارسوا الأمر وليعجلوا بالعمل وانهمك ستيفن في عمله حتى يخرج هذا السلاح الى الوجود وكانت زوجته في هذه الاثناء وبسبب انشغاله عنها تخرج كثيرا الى النزهة مع زوجات

العلماء الآخرين فالعلماء مشغولون فى عملهم الرهيب وفى يوم من الأيام جاءته مكتملة الزينة وكان عاكفا على معادلاته فلم يأبه بهـــا وسألته :

ـ هل تحبني هكذا ؟.

ولم يرفع بصره عن الورق الذى أمامه وقال :

ـ كيف حالك الآن ؟.

فقـــالت :

ـ هل تعتقد أن سؤالك هذا هو الرد الا ترى ان تغـــيرا طرأ على ؟.

فاخذ يتفحصها وقال :

ـ هناك تغير واعتقد ان كلانا قد تغير . فكلانا مشـــغول ، أنا بالمشروع الذى أعمل فيه وأنت بما تفعلينه لهذه العائلات ، وانى لأعجب بك كثيرا فأنا أعرف أن الهدوء والطمأنينة التى يعمل فيها رجالى بسببك أنت .

ـ ولكن ماذا عن الحب بينى وبينك ؟.

ـ ان كل ما افعله من اجلك واذا لم يكن هذا حبا .!

ونظر الى عينيها المستعطفتين انها أجمل من اى وقت مضى ثم قال لها بصوت عال :

ـ لسوف أكون مسرورا جدا عندما ينتهى هذا كله فحينئـــذ سوف أبنى لك المنزل .

فسألته :

ـ ومتى سينتهى ؟.

فأجابها بقوله :

ـ بعد شهور قليلة .

ثم عاد الى مكتبه لقد كان على حق عنـــدما قال ان الأمر لن يستمر طويلا فقد بدأت المواد تأتى من تينيسى ومن المنطقة الشمالية الغربية وسوف يكون هناك ما يكفى قريبا جدا من أجل أول تجربة

بحقيقية ثم اخـــذ يفحص الأوراق التى امامه للمشروعات والخطط والطرق المحتملة لصنع القنبلة ثم انغمس فى تفكير عميق وامسك بالقلم واخذ يكتب مذكرة الى رئيسه جاء فيها :

ـ اننى ارى أن المسألة لم تعد تتعلق بما اذا كان هذا السلاح سيعمل أم لا ولكنها تتعلق بمدى فاعليته وان تهنائى لتؤكد لى أنه فى خلال اربعة شهور سنكون قد انتهينا من اسوأ سلاح وافتــك سلاح اوجده الانسان فهذا السلاح يمكن ان يدمر مدينة باكملهـــا وآمل الا يحدث ذلك ولكن الرئيس يجب أن يعرف كل شىء ولديه فسحة من الوقت لكي يفكر فيه .

وفى صبيحة اليوم التالى فاجأته جين وهو يفحص مع احــد مهندسى الكهرباء الضوء المسلط خطا على المفاعل واستدار اليهـــا وكانت تقف على عتبة الباب بمعطفها المعمـــلى ويداها فى جيبى المعطف وقالت :

ـ هل يمكن أن أراك على الفور .

فاصدر الى المهندس الكهربائى بعض التعليمات ولحق بهــا وسارا معا فى الممر عندما قالت جين :

ـ لقد اكتشفت احتمالا رهيبا اريدك ان تفحص معى الأرقام التى وصلت اليها .

ـ انك صاحبة نظريات يا جين .

ـ قد اكون مخطئة .

وعندما دخل المعمل قدمت له ورقة وبعد ان درس الأرقام لمدة خمس دقائق صرخ فى فزع :

ـ ما هذا يا جين ؟.

ـ ماذا سنفعل ؟.

ـ اننا لا نستطيع أن نقرر أمرا فى هذا الاحتمال الرهيب .

ـ اذا كان هذا الاحتمال صحيحا فقد نتوقف جميعا .

ـ نعم ولكن من الذى سيقرر ذلك ؟.
ـ يجب أن نبلغ بيرتون هول .
ـ أتعرفين أين هو ؟.
ـ اعتقد انه مازال فى فيرمونت .

وانتظر بينما كانت تطلب جميع الأماكن التى يحتمل أن يكون فيها بيرتون هول وأخيرا رن جرس التليفون فى منزل بيرتون هول حيث ردت زوجته ثم راحت توقظه من النوم وسحب نفسه فى تثاقل حتى وصل الى التليفون الذى كان فى المطبخ حيث كانت تعمل زوجته وسمع جين تقول :

ـ أن هناك شيئا خطيرا اعتقد أنا وستيف انك يجب أن تعرفه.
ـ الآن ؟.
ـ نعم فسوف نستقل قطار المساء .
ـ سوف اقابلكما فى المحطة.. ان هناك قطارا واحدا فى اليوم هنا .

وضعت جين السماعة ثم نظرت الى ساعتها وقالت :

ـ امامنا أربعون دقيقة .

قال بيرتون هول :

ـ انى لا استطيع أن اتحمل المسئولية وحدى دعينى أطلع على هذه الأرقام بنفسى .

فاخرجت المذكرة من حقيبتها وسلمتها الى بيرتون هول وهى تقول :

ـ انه مجرد احتمال بسيط كان يمكن أن أتحدث عنه ولكننى مضطرة الى ذلك فالحرارة الشديدة نتيجة الانفجار يمكن أن تحرق الهيدروجين فى المحيطات أو فى الجو حتى أن الأرض يمكن ان تتبخر .

وتصبب وجهه عرقا واخرج منديلا من جيبه واخذ يمسح به العرق وفى ذلك الوقت كانت الطيور تغنى فى الغابة نغمات

بحلوة صافية وكان الصبية يصطادون على ضفاف البحيرة وكان اليوم مشرقا وجميلا ، ان الدمار شيء مستحيل لا يمكن أن يصدقه وانتفضت جين تقول :

ــ هكذا كان يجب على ان ابلغك .

فقال بيرتون هول :

ــ وأنا لا أستطيع ان اتحمل المسئولية ويجب أن نقرر معا ماذا يجب أن نفعله .

فقال ستيفن :

ــ ما رايكم فى أن نبلغ الجنرال ؟

ولم يوافق بيرتون هول وقال :

ــ العلماء يا ستيف .

واصر ستيفن على كلامه وقال :

ــ ولكن كيف .. ما هى الفرصة التى أمامنا . ان عليكم أن تحددوا الحد الذى لا نمضى بعده .

ولم يجب بيرتون هول .. ثم قال بعد فترة صمت :

ــ اذا كانت هناك ثلاثة اعشار الفرصة فى المليون ، فسوف أبلغ العالم بذلك ، واوقف العمل كله . أما الآن فيجب أن نمضى فى فى المهمة والآن ساوصلكما الى المحطة .

وبعد ثلاثة شهور ، وبينما العمل مستمر ، سلم مائة من العلماء تقريرهم . ان هناك اقل من ثلاثة اعشار فرصة فى المليون بأن الأرض يمكن أن تتبخر . وقرأ بيرتون هول التقرير وطلب ستيفن وجين .. وعندما حضرا قال لهما :

ــ انظرا الى هذا التقرير .. ماذا نستطيع ان نفعل سوى ان نمضى فى العمل .

فقال ستيفن :

ــ لا شيء .

ونظر بيرتون هول الى جين وقال :

ـ هل توافقين ؟.

هزت كتفيها :

ـ ان القاعدة خطأ . وان كل شيء خطأ منذ البداية . انه لم يكن يجب أن نفعل هذا لنفس السبب الذى نفعله من أجله .

وزمجر بيرتون هول :

ـ لا نستطيع أن نتوقف الآن ..

ونظرت الى كل من الرجلين وقالت :

ـ لم لا نستطيع أن نتوقف ؟ كيف جئتم بنا الى هذا المكان الرهيب ؟.

وبدات تبكى وتقول :

ـ ان كلاكما طيب وخير ، فكيف حدث هذا ؟.

وخرجت تجرى من الحجرة . ولم يتبعاها . وطوى بيرتون هول التقرير ووضعه فى درج المكتب وأغلق عليه ، وقال :

ـ سوف نعود الى العمل يا ستيف .

وبعد شهر واحد وقعت الحادثة . كان من بين الذين يعملون مع ستيفن كوست وكلهم من العلماء الشبان الذين لا يزيد سنهم عن الثلاثين واحد يدعى « ديك فيلدمان » ذو استعداد تكنيكى رائع وصاحب نظريات جريئة ولكنه مهمل فى التجارب . ومن بين الأفكار الرائعة التى يخرج بها نجد تسعة وتسعين لا فائدة منها أما الفكرة الأخيرة فانها تكون صائبة لا يمكن الاستغناء عنها . والآن استطاع ان يقوم بتجربة بسيطة وهامة فى قياس التفاعل المتسلسل . وقد حذرت جين ستيفن ما يفعله « فيلدمان » . لقد سألته فى يوم من الأيام وهما يسيران فى الممر :

ـ اعتقد انك تعرف ما يفعله فيلدمان ؟.

ـ نعم اعرف .

ـ اذا لم تمنعه عن الطريقة التى يصنعها بها فسوف يقتل نفسه وأى شخص آخر يتصادف أن يكون بالقرب منه .

فوعدها ستيفن بأن يتحدث معه فى هذا الموضوع .

ومضى كلٌ منهما فى اتجاه مغاير للآخر ، وماطل فى تنفيذ وعده ، وكان ينوى كل يوم أن يرسل فى طلبه ويذكره بأن العالم ليس له الحق فى أن يجازف بحياته ويعرض حياة الآخرين للخطر بسبب الاهمال فى الطريقة . وبعد ذلك نسى وعده . ولكن حدث بعد فترة ، وبينما كان ستيفن يجلس فى اجتماع مع بعض العلماء ينتظر بيرتون هول ، أن رن جرس التليفون على مكتبه . وامسك بالسماعة وهو ما يزال يقول موجها حديثه لهم :

ـ يجب أن نستعد لاجراء اول تجربة فى خلال الأيام العشرة التالية .

وتوقف فجاة . كانت جين على الطرف الآخر . وكان قد افتقدها منذ اليوم الذى قضياه عند البحيرة ، وكان يتوقعها أن تأتى ، ولكن لم يكن يسأل عنها عندما لا تأتى .

ـ ستيفن ؟.

ـ نعم .. ماذا تريدين ؟.

ـ لقد وقعت حادثة .. ورهيبة .. ديك فيلدمان .

ـ ماذا جرى له ؟.

ـ لقد انزلقت يده وهو يوضح لأحد العلماء الشباب كيف يعمل فى تجربته . فقد تماست مقذوفات اليورانيوم وحدث ماس رهيب .

ـ يا للسماء ...!

ـ وشتت ديك المادة بيديه حتى ينقذ الرجلين الآخرين . وقد أصيب اصابة خطيرة . وقد أصيب آخر . أما الثالث فقد جرى هاربا . وديك الآن فى المستشفى . وسوف أبقى معه . وأريدك

أن تعــرف السبب فى أنى لا اقابلك ، وأين أنا من الآن حتى النهــاية .

ـ القصدين ...

ـ ليست هناك فرصة أمام ديك .. فليس له عائلة »

ووضعت السماعة .. أما هو فتحول الى الرجال الذين معه وقال :

ـ لقد وقعت حادثة ضحيتها فيلدمان . وانى مضطر للذهاب الى المستشفى . انها التجربة اللعينة التى يقوم بها . لقد وضع حاجزا بين شقى النيوترون ولكن هذا الحاجز انزلق .

وتركهم ستيفن ، وكل منهم يتفوه بعبارة أملاها الموقف بعد هذه الحادثة ، وأسرع الى المستشفى ، كان الجو هناك كثيفــا وصامتا .. وارشده رجل الاستقبال الى الحجرة فهرع اليهاوفتح الباب كانت جين هناك بجانب السرير الذى يرقد عليــه « ديك فيلدمان » وكان مبتهجا ولكنه شاحب .

ـ تعال يا ستيف ...

ولم تتكلم جين .. كانت تفحص تقــريرا من المعمل ، ورفعت بصرها عندما دخل ســـتيفن ، وأومات دون أن تبتسم . وقال ستيفن :

ـ ماذا يفعلون لك هنا ؟.

وجذب كرسيا صغيرا واقترب من السرير . فقال فيلدمان :

ـ كل شىء ان يدى تؤلمانى . وهذا السبب فى أنهم يلفونهما بالثلج .. لقد امســكت المــادة .. وكان يجب أن أمســكها .. كنت فى عجلة . كان لدى موعد مع فتاتى .. كنا ســنقوم بنزهة فى احدى القرى الهندية . فهى لم ترها . ان أجازتى تبدأ غدا وكنت أوضح للزملاء ...

وتوقف .. ليتنفس بصعوبة . وقالت جين :

ـ هل يزداد الألم سوءا ..

فقال :
ـ فى يدى .
وتطلع اليها وانفجر العرق من جبهته وهمس :
ـ أشعر بالالم .. اشعر بالألم الشديد .
وبحثت عن وعاء ، ورفع نفسه فوق السرير ، ثم تقيأ فيه ..
وحملقت جين فى ستيفن وقالت :
ـ نادِ الممرضة .. ويجب ان اتحدث معك يا ستيف .. اننا نستطيع أن نعالج اشعة « جاما » ولكن أشعة النيوترون ...
ولم تكمل فقد عاود فيلدمان القيء وأسرع ينادى الممرضة .
وفى اليوم التالى خرجت جين مع ستيفن من حجرته وسارا معا فى الممر . وقالت جين :
ـ انه اهدأ الآن .
فسألها ستيفن :
ـ هل قال الطبيب شيئا ؟
ـ ما يزالون يجرون الاختبارات .. ويأخذون عينات من الدم بالطبع كما يحقنونه بالبنسلين .. كذلك هناك عملية نقل دم .
ـ دم من ؟
ـ دمى .. ولكن هذا لا يهم . كنت بالقرب منه ، ولدى الدم المناسب .
فقال ستيفن فى صرامة :
ـ لا تقدمى اكثر من ذلك .. انك تزدادين نحافة . لقد لاحظت ذلك .
ـ ولكنى لم الاحظ ذلك .. وسوف اقدم المزيد ، اذا كان ذلك ضروريا . انه نمط غير عادى . ليس من السهل جدا أن تجده .. ولكن قد لا يكون هناك وقت .
ـ تعنين .
ـ انها مسالة ايام قليلة .. هذا هو كل ما فى الأمر .. ثم ان

واجهة جسمه تحترق • فالألم الذى فى ذراعيه يزحف على بقية جسمه ..

ــ ولكن ماذا حدث للآخرين ؟.

ــ ان الذى هرب لم يصب بشيء .. اما الآخر فسوف يفقد شعره ·· فى جانب من رأسه على أية حال، ولا يجب أن يحلق المدة شهور قليلة ، ولكن الطب سوف ينقذه . وقد يصبح عقيما.. أنا لا أعرف .

ــ هل لديه أطفال ؟.

ــ اثنان .. وهذا من حظه وحظ زوجته . ويجب ان اتذكر وأسأل عن أسنانه .

ــ أسنانه ؟.

ــ نعم ··· فقد تكون الثغرات بينها مليئة بالاشعاعات ، التى يمكن أن تحرق اللثة .

ــ وماذا يمكن أن يفعله حينئذ ؟.

ــ يخلع أسنانه ..

ــ كيف عرفت هذا كله ؟.

ــ لقد كنت أدرس أثر الاشعاعات على الفيران ... التى فى رعب . والآن هل تعرف ماذا سيحدث لهذا المصاب فيلدمان ؟.

فسألها ستيفن بصوت منخفض :

ــ أليس هناك أمل بالنسبة له ؟.

ــ أى أمل ؟ لسوف يتحلل .. وسوف يصاب بالفرفرينا .. كذلك سوف تمتصه الاشعاعات التى فى جسده . وسوف ترتفع درجة حرارته ، وسوف تقل كرات الدم البيضاء .. واخيرا سوف يخرج عن صوابه ويفقد عقله .

فتمتم ستيفن قائلا :

ــ انك تعرفين كل شىء .

فقالت :

ـ لن اتركه .. سوف أبقى معه حتى النهاية . فليس هناك آخر يفعل ذلك .

وتصافحا ، ووضع يده على يدها وقال :

ـ كنت اتمنى ان ابقى معك يا جين . ولكننى لا أستطيع لقد استعد الجميع للتجربة الكبيرة . انها ساعة الصفر .. وانى مضطر لان اذهب .

فقالت له :

ـ اعرف ذلك .

ثم تقابلت عيونهما ... وافترقا .

وفى الأيام التالية لم تكن تغادر حجرة المريض الا لتتأكل فى متبرعة أو تنام قليلا حتى تستطيع أن تظل مستيقظة .. وعاشت ساعة بساعة مع الرجل الذى يموت . وكان الاطباء والمرضات يعتنون بالجسد المتحلل ، وكان العلماء والمسئولون يروحون ويجيئون ، ولكنها بعقله وروحه عاشت وواجهت الموت . وكثيرا ما تحدث اليها .. عن النيران التى تشتعل فى احشائه وفى معدته وعن الثلج الذى يلفه . وكان يسألها « حدثينى عن بيتك » . « حدثينى عن والدتك » .. وكانت تحدثه .. وكانت كلما أثارت شيئا بكلامه ينساق فى حديث قصير عن نفسه .. وسألته جين :

ـ اين ترعرعت ؟

وقال لها :

ـ فى ملجأ للأيتام .. ولم تكن الحالة سيئة كان هناك الكثير الذى نأكله .

ـ ولكن كيف أصبحت عالما ؟ .

ـ كان هناك رجل غنى فى الكنيسة . وسمع عنى .. ودفع عنى « الدوطة » لتعليمى . ولكنه لم يحدثنى أبدا . فقط قدم النقود الخاصة بتعليمى . وبدلا من الذهاب الى الجيش بعثوا بى

من الكلية الى هنا . كنا اثنين .. ولكن الزميـــل الآخر ذهب الى مكان آخر . انك اول فتاة اراها تعمل بالعلم . هل تعتقدين أنهم سوف يستخدمون القنبلة ؟.

ـ لا .. انني على يقـــين انهم لن يســــتخدموها .. انني لا استطيع أن أتحمل ذلك .

ـ اعتقد انهم سيفعلون اذا ارادوا ذلك .. ان صدرى يؤلمنى بشكل فظيع .

وظلت بجانبه ليلا ونهارا حتى النهاية ، عندما تشتت عقله فى كل مكان . وفى اليوم السادس مات .. قبل الفجــر ، وكان الألم الغامض الذى شعرت به يكاد يقترب من الحب .

واقتربت ساعة الصفر .. وذهب ستيفن يقود موكبـــا من العلماء وكبار الجيش الى مكان التجربة . وامســـك احد رجال الجيش الميكرفون واخذ يتكلم عن التجربة وعن قوة التفجير وعن اقتراب ساعة الصفر ثم تطلع الى بيرتون هول وساله :

ـ هل هنـــاك شىء آخر ؟. ان الجنـــرال و « بوب » رئيس المشروع فى المركز الجنوبى مع المساعدين .

وتردد بيرتون هول .. ثم امسك بالميكروفون وقال :

ـ ان هناك صوتا واحدا افتقده الليلة . وهو صـــوت رجل لم أره أبدا الا على شاشة التليفزيون . وأحب أن أقول اننى لم انتخبه لاجعل منه رئيسا . لقد كنت دائما انتخب الرجل الخطأ . وانتم تعرفون من أعنى . لقد مات فى ابريل الماضى . ولكننى اشعر أنه هنا يطل علينا من مكان ما . لقد كانت لديه الشجاعة ليعطينا امرا بالمضى فى العمل . وكذلك الجرأة على انفاق المـــال . بليونان من الدولارات . وسوف تكون أكثر النفقات حكمة واقتصادية صرفت فى تاريخ الجنس البشرى . وقد تكون اكثر الخسارات خيـــالا وغرابة . واننى اتكهن بالنجاح .

وبعد قليل قال ستيفن :

ـ اننا على استعداد فى الوقت المحدد .

وانتهت العاصفة التى كانت قد هبت منذ قليل. ووقف بجوار « الانتاج » الذى يحمل المستقبل داخل شكلها المعدنى . ولم يعد يخاف ، أو يشعر باليأس فالظلمة تحيطه فى الداخل والخارج ؟ وفي هذه الظلمة رأى فقط وجه جين . انه لو عاش بعد هذا التفجير فسوف يعود اليها . وسيقول لها انه يحبها . سوف يواجه حقيقة نفسه معها .

وفى الصمت الرهيب أمسك ستيفن بالميكروفون . كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق . وخلف الميكروفون وقف جامدا حتى كاد يشعر أنه ميت . ولكنه تكلم ، أعلن الوقت كل خمس دقائق ثم كل دقيقة وعيناه على ساعته . وبدأت الدقيقة الأخيرة .. وبدأ يعد بالثوانى حتى وصل الى الصفر .. واستدار بظهره فى هذه اللحظة ليرى الجو ينفجر فى ضوء يعشى الأبصار . وفجأة دوى انفجار هز الأرض وشعر بأن اذنيه تصدعتا . كما لو أن يدا كبيرة ضربته ، وسقط على الأرض . وظل فاقد الوعى لحظة ثم قاوم حتى نهض وعبر الحجرة كان بيرتون هول يرتعد . وفى صمت تام حملقوا جميعا فى هذا الشكل الرهيب المتحرك الذى أطلقوا سراحه . ثم تكلم بيرتون هول :

ـ لقد ذهب البرج ..

ثم نظر عبر التليسكوب ..

ـ انه لم يعد له وجود .

واختطف ستيفن التليسكوب وبحث فى الصحراء على بعد عشرة اميال . وصاح بيرتون :

ـ لقد فعلناها .. لقد فعلناها ..

والقى بذراعه حول كتفى ستيفن وبدأ يبكى ويضحك . ويقول :

ـ سماء جديدة ، وأرض جديدة .

فقال ستيفن :
ـ عصر جديد ..»

- ٤ -

وكانت نتيجة هذا الانفجار الرهيب أن برد الهـــواء والتهت الأسابيع التى لا تطاق من الحرارة الشديدة وهبت رياح رطبـــة وتسللت الى النوافذ المفتوحة واستيقظت جين فى سريرها وأخذت تتذكر ذلك اليوم . فقد ذهبت الى سريرها فى وقت متأخر ليلة أمس وهى لا تستطيع أن تنام ، كانت ليلة الصـــفر وكان يجب أن تكون هناك مع ستيفن وبيرتون هول وبقيـــة الرجال وقال بيرتون هول :

ـ فرصة كبيرة ضاعت منها ..

وأضاف :

ـ لست عالمة اذا ضاعت منك هذه اللحظه .

قال لها ذلك أول أمس عندما كانا يقومان بقياس الحـــرارة المرتفعة للمفاعل الجديد ، وفكرت لحظة قبل أن تقول :

ـ لا أستطيع أن أذهب ففى هذا اليوم ستشيع جنازة فيلدمان وليس هناك سواى ، كذلك لست على يقين من أننى أريد أن أرى هذا العمل الكبير ..

فقال لها :

ـ دعى الموتى يدفنون الموتى ، إنك عالمة أولا وأخيرا ، وقـــد كنت تقولين ذلك لى عندما كنت أحاول أن أكون رقيقا معك .

ولم تجب جين فمن ذا الذى يعرف من هى ؟ انها لا تعـــرف نفسها فهى فى حالة اضطراب شديد ولم تكن تتصور منذ سنوات أن فرحتها بالرياضيات سوف تؤدى بها الى هذا المـــكان الذى

تحيط به جبال انبثقت عن بركان قديم ومن الغريب أن تقارن كارثة هذا الانفجار القديم بما يفعله الانسان فى العصر الحديث .

وجلست فى سريرها وهى تشعر بالقلق ، يجب أن تكون هناك هذه اللحظة ، فسوف يعرفون الآن ما اذا كانوا قد نجحوا فى التجربة . وهذا سر بالطبع ولكن الاسرار لا تخفى عليها وربما تكون العاصفة قد أجلت التجربة أو ربما تكون قد فشلت . وعلى الفور نهضت من سريرها واغتسلت ومشطت شعرها ولفت نفسها كما هى عادتها عندما تكون وحدها ـ برداء هندى ، فقد كانت ترتديه وهى طفلة ، ومازالت هذه عادة عندها حتى انها عندما ترتديه يخف التوتر فى نفسها .

كان الصباح رائعا بعد العاصفة ووجدت نفسها تغنى وسعيدة بالرغم من نفسها ، فهل هناك دائما مستويان للحياة بالنسبة للمرأة ؟ على اية حال هناك هذا المستوى الطيب الذى تعيش فيه ، سوف تتناول فطورها فى الشرفة ووضعت الغلاية على النار وبدأت تعصر بعض ثمار البرتقال وحينئذ سمعت صوت ستيفن على الباب ، وقفت وهى لا تصدق نفسها فكيف يجىء ستيفن فى هذه الساعة من اليوم وسمعته يناديها وأسرعت ففتحت الباب ، وكان ستيفن يقف والتعب يبدو على وجهه وسالها :

ـ لم انت هنا . لماذا تركت المعمل ؟.

فقالت فى غضب :

ـ كيف يمكنك ان تفكر انني أستطيع أن اترك هذا العمل ؟.

ـ ولكنك تركته . لقد كنت هناك ولم أجدك .

ـ لقد تركت بيت النساء فقط اذا كان هذا ما تعنيه ولن أذهب الى هناك بعد ذلك وبعد جنازة فيلدمان سوف اكون وحدى وقد استاجرت هذا المنزل منذ يومين .

فتمتم وهو يقول :

ـ يا الهي ، انك في بيت جديد كما لو أن كل شيء قد رتبته الأقدار .

ثم جلس على كرسي المطبخ واخذ يحملق فيها وسألته :

ـ ماذا تعني وما هو هذا الشيء الذي رتبته الاقدار ؟.

ـ هذا الذي جئت أحدثك عنه .

ـ هل تناولت فطورك ؟.

ـ لم اتناول طعاما منذ يومين الا تعرفين ما حدث ؟".

ـ لا .. فقد بعثت برسالة الى المعمل باني لن احضر لمدة ثلاثة ايام .

ـ الا تريدين أن تعرفي ؟.

ـ أريد أن اعرف شيئا واحدا فقط هل نجحت التجربة ؟.

ـ نجاحا هائلا .

ـ لا تزد الآن ، اذهب واغتسل وسوف اصنع لك الفطور .

ونهض وهي تراقبه وهو يجر نفسه جرا فقد حدث شيء له ، شيء أكثر من النجاح كانت تتمنى لو فشلت التجربة فقد كان يمكن أن يكون امامهما فسحة من الوقت . لماذا ؟. لا تدري . وبعد أن أعدت الطعام جاء ستيفن وهو يبدو نظيفا وقالت :

ـ اجلس فقد جعت ولا تتحدث .

وتنهد ثم جلس وصبت له كوبا من عصير البرتقال وجلست قبالته وسألها :

ـ ما هذا الذي ترتدينه ؟ـ

فأجابت وهي تضحك :

ـ انه ساري هندي وأنا ارتديه عندما أكون في المنزل .

فقال لها :

ـ انني أحب هذا الساري عليك فهو يبدو مريحا .

فوافقت على كلامه ثم ساد الصمت بينهما للحظات بينما كان يأكل في نهم وصبت القهوة ثم تنهد اخيرا وارتكن الى الوراء وقال :

ـ انني احتقر نفسي .

ـ انني سعيدة جدا .

وازاح الاطباق والفنجان جانبا وقال :

ـ والآن اتكلم ..

فوضعت يديها على اذنيها وقالت :

ـ ارجوك لا تتكلم سوف اسمع هذا كله هناك فسوف تكتب تقريرا وسوف تنشر الصحف ذلك وتقول « تجربة ناجحة في صحراء نيفادا » وقد تغير العالم .

ـ ان هذا الحديث لك .. والحق أن العالم قد تغير بالنسبة لي على اية حال .

وانزلت يديها .. وتقابلت عيونهما . وبحث ستيفن عن غليونه واشعله وقال :

ـ لا تقاطعيني يا جين . وبعد ان أقول ما لدي .. يمكنك ان تقولي ما تشائين . وارجوك أن تفهمي ان هذا ليس شيئا مباغتا . لقد وصلت الى ذلك في لحظة .. ولكنني اعددت لذلك كثيرا .

وشعرت بالرهبة . ولم ينظر اليها . بل انه تحول ببصره عنها وحملق في البركة المستديرة ، التي تلمع فيها أشعة الشمس التي بدأت تزحف على السطح المنخفض للمنزل . وبعد برهة قال لها :

ـ ان كل شيء كنت اكبته في نفسي ، وأنكره عليها وأرفضه طيلة هذه الشهور بل هذه السنين ، منذ أن رأيتك لأول مرة ، قد تفجر الآن . أنا لا أستطيع أن أوضح . وربما كان توتر العمل من بين الأسباب . فانا لا اعرف .. ولكن أنا هنا الآن . وقد زال التوتر واعرف ما أريد . رفقة كاملة . انني أريدك انت .

وارتكنت براسها على يديها ، ومرفقاها على المائدة ، ولم تستطيع أن تجيب . وساد صمت عميق . قطعته اخيرا وقالت وهي لا تنظر اليه :

ــ اننا لسنا أطفالا .

فوافق على قولها واستمرت تقول :

ــ وليس لى روابط .. ولكنك ...

ــ الا ترتبطين بدكتور بيرتون هول ؟ .

ــ ليس بالطريقة التى تقصدها ..

ــ ان لدى شعورا بانك تحبينه .. وربما يكـون ما حدث لى قد حدث له .

ــ لا داعى للحديث عنه .

ــ كما تحبين ..

ــ أما انت فمرتبط .. وانا احب هيلين .. وهى تحبك . وانا لا انافس .. ولا يجب أن انافس فانا عالمة . ولست مجرد امرأة . ان لى شيئا خاصا بى .. اما هى فليس لها اى شىء .

وقام .. واخذ يذرع الشرفة جيئة وذهابا .. ثم وقف بجانبها وقال :

ــ لم تفكرين فيها فقط ؟ ولم لا تفكرين فى ؟ .

ــ ان لك شيئا خاصا بك . فانت عالم .

ــ لا تتفلسفى بربك .. فى هذه اللحظـــة . يجب قبلينى .. قبلينى .

وجذبها اليه فصرخت :

ــ ستيف .

ولكنه لم يكن ليقاوم . لقد مضت فترة طويلة منذ أن رغبت فى أن تقبل رجلا . كانت ذراعاه حولها ، وكان فمها على فمـــه ، فى رقة فى بادىء الأمر ، وبعد ذلك بدفء ، ثم بقوة مباغتة وعاطفة . وارتعشت وهى تستجيب له .. فمن المستحيل الا تستجيب ، انها تريد أن تستجيب .. وأن تستطيع ..

وانسحب أخيرا وجذب رأسها الى صدره وقربها منه ، وخده على شعرها .

ـ الآن .. هل فهمت ؟»

فقالت :

ـ فهمت ؟ نعم .

ـ اذن انتهى الأمر .. سوف ابلغ هيلين .»

وابتعدت عنه وهى تقول :

ـ لا .. لا تقل .

ـ ولكن يجب أن أقول لها ، فكيف أعيش فى البيت ولا اقول لها .. اننى لا أستطيع ان اتظاهر .»

ـ لا تقل لها شيئا .. ان هذا شىء سريع جدا .

وحاولت ان تبتسم ، ولكن الدموع علقت برموشها وقالت :

ـ امهلنى بعض الوقت ...

ونظر اليها لبرهة :

ـ سوف أمهلك .. ولكن لن اتغير أبدا .»

واختطف الجاكتة من فوق الكرسى ومضى الى خارج المنزل .

ووقفت تنظر الى الحديقة وهى تتأوه وتقول :

ـ ماذا سافعل .. ماذا سافعل الآن ؟»

ثم جرت الى حجرة النوم ، وهى تفك السارى بينما تمضى وارتدت ملابسها .. الى العمل .. الى العمل المبارك حيث تفكر فقط فى القوة الكونية ، وليس فى هذا الوميض الذى يتأجج فى قلبها .

بينما كان بيرتون عائدا الى العمل شعر بندم غريب غير متوقع . فبعد النجاح الكبير للتجربة ودع زملاءه العلماء ، وكان قد هنأ الجنرال ورفاقه .. وقال :

ـ اراكم فى المعامل .. ان المهمة التالية تلح علينا .»

وكان كل واحد يعرف ما هى المهمة التالية . لقد استسلمت المانيا فجأة فى شهر مايو ، وبأسرع مما كان متوقعا .» وقبل ذلك

بشهر مات الرئيس . وكان بيرتون هول فى ذلك الوقت فى القطار فى طريق عودته من واشنطن ، عندما انتشرت الأنباء فى البلاد من مدينة صغيرة فى جورجيا تقول ان رئيس الجمهورية الأمريكية قد مات . واخذ يتذكر ما كان يقوله للعلماء من أن واجبهم أن يواصلوا اكتشافاتهم وأن يحولوا مجرى الحضارة . وكذلك فعل وزير الحرب الذى ناشد بيرتون هول أن يمضى قدما هو وعلماؤه فى هذا العمل . وقد وعدهم بيرتون هول بذلك . وهذا الوعد هو الذى يسدد الى صدره مثل الخنجر . وقد حدد الجنرال استراتيجية استخدام القنبلة . وفى هذه اللحظة ، ولأسباب لم يستطع أن يتبينها ، شق طريقه عبر الصحراء والسهول وذهب الى «أريزونا» والى معسكر معين بالذات حيث كان يسجن « ياسوا ماتسوجى » وراء الاسلاك الشائكة لانه من الأعداء . لقد عاش عشرين عاما فى البلد الذى اختاره يرسم صوره الغامضة الجميلة .. وتسللت هذه الأفكار جميعا الى ذهنه المتشعب المضطرب وهو يقود سيارته عبر الصحراء ويتوقف متعبا على بوابات معسكر اريزونا للاعداء الأجانب .

واستطاع بيرتون هول بعد حصوله على الاذن أن يدخل المعسكر وانتظر حتى جاء « ياسوا » كان يمد كلتا يديه وقال :

ـ دكتور هول أجئت لترانى هنا ؟.

ـ اننى افكر فيك كثيرا ، كيف حالك ؟.

ـ تعال ادخل .

ودخل بيرتون هول ولم تكن هناك اية صور ولكن كان هناك فوق رف صغير مجموعة من الاشكال المنحوتة لم يستطع ان يتبينها بيرتون فى اول الأمر فسأل ياسوا قائلا :

ـ ما هذه الأشياء ؟.

فضحك وقال :



ـ هذه اعمالى فالايام طويلة هنا ولااستطيع أن انام كثيرا لذلك فانى اقوم ببعض الأعمال .

فقال بيرتون هول وهو يشعر بشيء من الخجل :

ـ ولكنها جميلة .

فقال ياسوا مبتهجا :

ـ لست انا الذى اعمل فهناك كثيرون يعملون بعض الأشياء فمن القبح أن نعيش هنا دون ان نفعل شيئا . فالبعض ينبت بذور الورود والبعض الآخر ينبت بذور الخضروات ، كلنا نعمل شيئا فيما عدا الكسالى وهم قليلون ، اجلس ، انني آسف ليس عندى شاى .

وجلس بيرتون هول وقبالته هذا الرجل الرقيق الذى عرفه سنين طويلة . ونظر اليه « ياسوا » دون ما حرج . ولم يتحرج . أن الحرج يقبع على الجانب الآخر وقد جاء بيرتون الى هنا ليقول لياسوا « يجب الا تختلط الأمور بيننا فانت وانا كما كنا دائما » ولكنه لم نقل شيئا وجلس قرابة النصف ساعة دون ان يقول شيئا بينما كان « ياسوا » يثرثر فى تواد عن حياته ويتحدث فى أمل عن اليوم الذى يستطيع أن يعود فيه الى الرسم مرة أخرى فقد كان سبب الم انه لم يستطع أن يرسم واخيرا صافح ياسوا وخرج .

وبعد يومين ســـــأل بيرتون هول عن جين ايرل فى مساكن العاملين فى المشروع واكتشف انها لم تعد تعيش هناك وانها تأتى الى العمل كل صباح ، وطلبها فى بيتها ودار بينهما هذا الحديث :

ـ ماذا تفعلين فى الصحراء ؟ .

ـ اعيش .

ـ هل تناسبك هذه الحياة ؟ .

ـ انني اريد بيتا خاصا بى .

ـ وهل انت وحدك ؟ .

ـ بالطبع وحدى .

ـ اذن سوف آتى لأراك . هل تعدين الطعام ؟ ».
ـ نعم أعد الطعام لى .
ـ اجعليه لاثنين ».
ثم التقط قبعته وقال لسكرتيرته :
ـ قولى لزوجتى اننى ذاهب لتناول العشاء مع جين ويمكن أن تلحق بى اذا رغبت ».
وكان الحديث قد كثر فى المعسكر حول جين ايرل وحياتها بمفردها .
وذهب بيرتون هول اليها وتناول الطعام ودار بينهما حديث مرح وقالت جين :
ـ ان فيرمى يريدنى أن أعود للعمل معه ».
فسألها بيرتون هول :
ـ وهل ستذهبين ؟ ».
فقالت له :
ـ لا أعرف . ان هذا يعتمد على مدى أهميتى الآن بعد أن انجز العمل ».
فقال بيرتون :
ـ ان العمل لم ينجز فالمسألة الآن كيف يستخدم هذا السلاح .
ـ يستخدم ، هل تفكرون فى استخدامه ؟».
ـ أن الحرب يجب أن توقف أليس كذلك ؟».
ـ ولكن ...».
ولم تكمل فقد قاطعها بيرتون هول وامرها بالسكوت وأن تنصت له ثم اخذ يتكلم ويقول :
ـ سأوضح لك الموقف لقد كان فيرمى على حق حين قال ان الألمان لم يصنعوا القنبلة ، كانت لديهم فكرة عن الانشطار ولكنهم لم يفكروا أبدا فى البلوتونيوم ومنذ ثلاث سنوات تخلوا عن فكرة

اليورانيوم ولكنهم كانوا يحلمون بالمفاعل وفى شهر ينــاير كانوا ما يزالون يحلمون بذلك ولكن هتلر امرهم أن يتخلوا عن كل شيء لا ينتج السلاح في خلال ستة شهور ونقطة الضعف الوحيدة هي أن الالمان لم يسيروا في الطريق الذى سرنا فيه ، اننا هنا عملنــا جميعا معا واستطعنا أن نستغل عقول العلماء الأوروبيين ونستخدم أفكارهم ونتنتج السلاح ، ولكن ماذا سنفعل بالقنبلة هل نسقطها او لا نسقطها ، انه يجب أن ننهى الحرب ، فما هي الطريقة التى ننقذ بها معظم الأرواح ، واليابان هي العدو الوحيد ويجب أن تستسلم فكيف نكسب بأقل قدر من الدمار ، وقد تحدد تاريخ الغزو اول نوفمبر من هذا العام ، عام ١٩٤٥ وسوف يهبط رجالنا فى كيوشو جزيرة كيوشو الجميــلة التي زرتها لمدة أيام قليلة وهى مدينــة ساحلية لا مثيل لها في العالم .

فقالت جين وهي تخفى وجهها بين يديها :

ـ لا تفعلوا ذلك أرجوك يا بيرت .

وواصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ـ لقد قدر كل شيء ، فاذا قمنا بالغزو فسوف يموت نصف مليون أمريكى ومليونين ونصف من اليابانيين وهم لا يخشون الموت كما تعرفين ، اننا يجب أن نرهبهم وأن نظهر لهم مثل هذا السلاح الرهيب الجديد حتى يستسلموا .

فقالت جين في همس :

ـ لا أستطيع ان اسمع اكثر من ذلك .

ثم اضافت :

ـ اننا اذا استخدمنا القنبلة فسوف تكون بداية النهاية لنــا جميعا ، كل شعوب الأرض .

وودعها وانصرف ومضت هى الى التليفون وطلبت ســـتيفن وصرخت وهي تقول له :

ــ اين انت ؟ يجب ان اراك الآن .
ومن بعد لم تستطع أن تقدره سمعت صوته يقول :
ــ جين لا استطيع أن أحضر فالجنرال منتظر .
فلم تجب ولم تستطع أن تتكلم وجاء صوت ستيفن يقول :
ــ جين هل تسمعينني ، جين هل أنت هناك ؟.
ولكنها وضعت السماعة في هدوء وحملقت في الحجرة وقالت بصوت مرتفع :
ــ لا ، يا ستيفن انا لست هنا .

***

واستطاع بيرتون هول بصعوبة أن يفيق من الغيبـــــوبة التي داهمته ، كان في سريره الكبير في منزله وقد تعجب ما الذي اتى به الى هنا فهو يتذكر انه كان في القطار وكان نائما وسال زوجته:
ــ كيف جئت الى هنا ؟.
فهدأت منه ووضعت يدها على جبهته وقالت :
ــ لقد ارهبتني .
ــ الم انم هنا ليلة امس ؟.
ــ انك راقد في سريرك منذ اسبوع .

واخذ بيرتون هول يتطلع الى السقف وهو لا يشعر بجانبـــه الايمن . واخذ يسال نفسه اين كان .. فقد كان يتحدث مع جين وكانت مضطربة وكان يتحدث معها عن القنبلة والآن هو فيسريره لابد ان شيئا قد حدث له واخذ يتذكر ولكنه لم يستطع وســـال زوجته ماذا حدث فقالت :

ــ عندما حملوك الى هنا كنت اعتقد انك قد مت فقد كنت في القطار عندما جاءتك الازمة .
ــ وماذا كنت افعل في القطار ؟.

ثم ضحك واخذ يشرب الحساء الذي جاءت به زوجتـــه انه مريض والازمة خطيرة ويمكن ان يمكث في السرير شهرا او شهرين

لذلك فهو لن يذهب الى الجزيرة عندما تسقط عليها القنبلة ويمكن أن يحل ستيفن كوست محله .

في ذلك الوقت كان ستيفن كوست يقول :

ـ يمكنك أن تحصلي على أجازة بأجر . لقد انتهت مهمتك بالنسبة للقنبلة، والمسألة قد خرجت من أيدينا الآن .

كانت جين قد خرجت من المعمل في صباح هذا اليوم من ايام يوليو بعد ارق طويل وبدأت تذكر في دهشة هل حدث فعلا أن تناولت الفطور مع ستيفن ؟ كان هذا الحدث كحلم غامض عبر مخيلتها ، وربما كانت غلطتها انها طلبت منه مهلة ولكن الوقت قد مر .. خمسة أيام ، وستة أيام ، ولم يحاول أن يبحث عنها ، ومرض بيرتون هول كارثة بالطبع فان ستيفن سوف يتولى كل شيء ولكن هل يحتاج هذا كله الى أن يحدث هذا الصمت بينهما طيلة ستة أيام . ولما لم تستطع ان تتحمل ذلك ذهبت الى مكتبه هذا الصباح لتتبين الأمر . ولكنه يقترح عليها أن تحصل على اجازة وتساءلت الى اين ساذهب وماذا سافعل وقالت لستيفن :

ـ كيف استطيع أن اساعدك هذا هو ما اريد ان افعله .

فقال :

ـ انني لا اعرف ؛ انني مضطر لأن اتتبع ما يحدث وسوف اذهب لأرى بيرتون هول غدا حتى أعرف منه كل شيء .

ولم تجد ما يدل على أن هناك معرفة بينهما وشعرت جين بجرح عميق . انه لا يفكر فيها . هو فقط يفكر فيما يفعله وقالت في نفسها انني اتصرف مثل اي امرأة وانا لست كأي امرأة ، فانا عالمة ونهضت وهي تكبح جماح نفسها وقالت :

ـ يمكنك أن تبلغني ان كنت استطيع ان أقدم اية خدمة وفي هذه الاثناء لن احصل على اجازة سوف أعود الى معملي كالمعتاد وسوف اعكف على تجربة بعض النظائر وغريب اذا لم نعد نعمل في مهمة الحرب .

فقال لها :

ـ ان المسألة الآن تتعلق بالانتاج فنحن نريد ان ننتج ثانية وثالثة .. الخ .

وخرجت جين وبعد ذلك طلب ستيفن كوست الجنرال واعرب من رغبته فى ان يراه ومعه ثلاثة من العلماء وتمت المقابلة ودارت حول استخدام القنبلة وقال ستيفن للجنرال :

ـ انني متألم لما سمعته من اننا ننوى القاء قنبلة على العدو.

فسأله الجنرال :

ـ اذن لماذا صنعناها ؟.

ـ من اجل الدفاع لا من اجل أن نقتل آلاف الناس وارجوك أيها الجنرال ان تعرف ماذا سيكون وقع ذلك على الراى العام فى العالم اذا اسقطنا القنبلة على بنى البشر سوف تكرهنا شعوب العالم وترتاب فينا وتخافنا .

ثم قال طومبسون :

ـ وقد يأتى وقت نريد فيه من اجل سلامتنا أن نمنع استخدام هذا السلاح باتفاقية دولية فكيف سنبدو حينئذ اذا كنا أول من استخدمه .

وقال بوب ايفر :

ـ اننا فى موقف ضعيف الآن بعد أن استسلم الألمان فسوف يقول الآسيويون اننا انتظرنا حتى خرج الألمان من الحرب واسقطنا القنبلة على الأجناس الأخرى .

فقال الجنرال مزمجرا :

ـ لو اهتممت بما يقوله الناس لما فعلت شيئا لقد كلفت بمهمة وأنا أقوم بهذه المهمة .

وانفض الاجتماع وعاد الجميع الى مكتب سيمن فقال ستيفن :

ـ سوف نعرض الأمر على المسئولين فى واشنطن ».

وقال طومبسون :

ـ على وزير الحرب .

ـ أو على الأقل نصر على أن تستخدم على تجمعات القوات أو المنشآت الحربية ».

وهنا قال ستيفن غاضبا :

ـ سوف نصر على ألا تستخدم بالمرة .

وفى واشنطن تحدث اليهم جنرال مشهور وقال :

ـ انكم جميعا من المدنيين ولن اقنعكم بشىء ففى الربيع الماضى كنت اعارض استخدام القنبلة أما الآن فقد تغيرت نظرتى واننى لا اعتقد حسب ما شاهدته فى الشهور الأخيرة أن اليابانيين سوف يستسلمون نتيجة للهجمات الجوية التقليدية والعمليات البحرية العادية . ولذلك أرى أن الطريق الوحيد لانقاذ الأرواح الأمريكية وارواح اليابانيين كذلك هى أن ننهى الحرب بسرعة .

ومضى يقول :

ـ اننا اذا اسقطنا هذه القنبلة على مدينة فلن يقتل اكثر من عشرين الفا ويمكن شفاء معظمهم .

وصمت الجميع برهة ثم بدأ الجنرال العجوز يقول :

ـ اننا يجب أن نستخدم القنبلة ونستخدمها بسرعة .

وقال زيجنى :

ـ هذه جريمة دولية هل يمكن أن تقرئى ما كتبته .

كان يتحدث الى جين فى بيتها فى صبيحة يوم أحد وكان قد تحدث من قبل فى كل مكان فى شيكاغو وفى نيويورك وفى « تينيسى » وفى « واشنطن » وبينما كان يتحدث اليها وضع امامها ورقة كتب فيها نداء الى الانسانية وأخذت جين تقرأ فى صمت :

« ان البلد التى تضع سابقة باستخدام هــذه القوى الجديدة لأغراض الدمار يجب أن تتحمل مسئولية فتح الباب على عهد من الدمار على نطاق لا يمكن تصوره .. »

وظلت تقرأ حتى نهاية النداء وأخذت تقرأ قائمة الأسماء التى وقعت عليه وكانوا جميعا من أبرز العلماء ولكنها لم تر اسم ستيفن وتساءلت :

ــ اننى لا أرى اسم ستيفن كوست .

فتأوه زيجنى وشد شعره المجعد الطويل وقال :

ــ لقد ذهبت اليه كثيرا وهو يقول انه لا يستطيع أن يوقع على هذا النداء حتى يفكر فى بديل لذلك وسألته هل هنـــاك بديل للموت ولم يجب على .

ولم تجب جين وجلس زيجنى يراقبها فى لهفة ماذا ستفعل ؟ عالمة شابة وامرأة ربما لا يكون توقيعها هاما ، ولكنها موضع احترام كبير وقال لها :

ــ لن أضغط عليك لتوقعى ، اتركى الأمر لضميرك وقلبك .

فقالت جين فى ثبات :

ــ سوف أوقع .

وامسكت بالقلم الذى قدمه لها وكتبت اسمها ونهض وهــو يقول لها :

ــ شكرا ، أرجوك أن تتكلمى فى كل مكان عن هذا الأمر .

فوعدته بذلك وذهبت تبحث عن ستيفن وقال لها :

ــ ادخلى اننى آسف لأنك انتظرت فــترة طويلة اننى على اتصالات مستمرة منذ أن عدت من واشنطن منذ ثمانية أيام .

وجلست فى صمت فى الكرسى المواجه له وأخذ يحملق فيها وقال :

ـ جين الست مريضة ؟»
فأجابته بالنفي فقال :
ـ انك شاحبة جداً .»
فقالت له :
ـ انني اشعر بالغربة واحس كانني غريبة هنـــا وانت غريب عني .
فقال لها :
ـ اعرف ذلك ، اننا في فترة غريبة ننتظر اشياء كثيرة .»
فقالت بهدوء :
ـ انا لم انتظر ولــــكني اريد ان اقول لك انني وقعت على الاحتجاج الذي كتبه ريجني .
فرفع اليها حاجبيه السوداوين وقال :
ـ اني آسف اذ فعلت ذلك .»
فقـــالت :
ـ انت آسف ؟ لم اكن اتصور ان اسمعك وانت تقـــول انك آسف لانني احتججت على القاء القنبلة .
ـ ان ما اعنيه هو لماذا لم تتحدثي معي في هـــذا الموضوع ، ان هذا ما اعمل فيه الآن فانا احصل على جميع الآراء من كل مكان ومن كل العلماء وقد اقترع خمسة وثمانون في المائة على استخدامها وبدون تحذير .
ـ ولكن ماذا تقول الدول الأخرى عنا ؟
ـ لقد استطلعت الآراء في كندا وبريطانيا وفرنسا واغلبيتهـا تؤيد استخدامها على الفور والرياسة في واشنطن توافق على ذلك بالاجماع .
فقالت وعيناها تحترقان كنجمتين سوداوتين :

ـ اذن فانا سعيدة لانى وقعت على الاحتجاج ، سعيدة الف مرة ، فهل كان يمكن ان اجادل على الموت بعد أن شاهدت فيلدمان يموت .

وهمست وهى تقول :

ـ الم تحتج يا ستيفن ؟

فتنهد وهو يقول :

ـ اننى لا أشترك فى هذا فالأغلبية تقرر ذلك .

فصرخت :

ـ اين انت ، كنت اعتقد انك انسان ، هل تترك الآخرين يقررون ذلك ؟

فنظر اليها بعينين مجهدتين تحيط بهما ظلال سوداء :

ـ لقد اتخذت قرارى .

فقالت فى ازدراء :

ـ لقد قررت الا تقرر حتى لا تكون مسئولا ، انك لا تريد أن تكون مسئولا ولكنى أريد ان اكون مسئولة عن النضال بكل قوتى وعقلى ضد هذا الشيء الذى سممناه ، لكم وددت أن تقطع يدى اليمنى قبل أن أساعد فى صنعه لو كنت تصورت اننا سوف نستخدمه ، ماذا يقول عنا بقية العالم اذا استخدمنا هذه القنبلة ، نحن امريكيون ، انهم لن يغفروا لنا ابدا ، لقد احبنى الأطفال فى الهند لأننى امريكية ، وعندما كنت فتاة كانت رفيقاتى فى المدرسة يحببننى لان بلادى كانت فى يوم من الأيام مستعمرة وقد ناضلنا من أجل أن نتحرر ، اننا لو اسقطنا القنبلة يا ستيفن سوف نقضى على أنفسنا فى كل مكان بالعالم ولن يثق بنا الناس بعد ذلك .

ثم حول الحديث الى ما عرضه عليها وقال :

ـ اننى احبك يا جين .

فقالت :

ـ انك لم تحبنى ابدا .

وتحولت عنه وغادرت المكان وتركته وحيدا . وعندما تركته مضى فى عمله الذى يجب أن يتم بسرعة . فى ذلك الصباح جاءه مساعد الجنرال وقال له انهم في واشنطون يريدون ان يعرفوا رأى الناس فقال له :

ــ سوف اكتب لهم بذلك .

وبينما كان مساعد الجنرال ينتظر كتب ستيفن التقرير وسلمه له وبعد فترة قليلة عاد مساعد الجنرال ليقول له :

ــ انهم فى واشنطن يريدون أن يعرفوا رأيك ..

فقال ستيفن فى اعياء :

ــ رأيى ، اننى افكر فى ذلك منذ اربع سنوات ، فقد كان والدى رجل دين ولم يكن يؤمن بالحرب .

فسأله الكولونيل مساعد الجنرال :

ــ هل توافق ؟

فقال وهو يتردد :

ــ نعم .

واخذ القلم وكتب :

ــ اننى مع الأغلبية .

ثم اضاف :

ــ بالرغم من اننى آسف لضرورة استخدامها وارجو الا تستخدم اكثر من مرة واحدة .

ثم وقع باسمه .

ومرة اخرى جلس وحيدا . وفى فزع امسك بالتليفون وطلب جين واخذ جرس التليفون يدق ولم يجب أحد اذن ، أين ذهبت وماذا يفعل ليحل هذه المشكلة وكيف يستطيع كل العلماء أن يلغوا ما فعله هؤلاء العلماء والعسكريون ورجال السياسة الذين أصروا على صنع القنبلة وقرروا استخدامها . انه يجب ان يذهب الى واشنطن دون تأخير .

وبعد ساعة كان يلقى بأشياء فى حقيبته ، ويندفع ليحلق بالطائرة رغم كل الأوامر وذلك لان القطار سوف يكون بطيئا جدا ونادته هيلين من المطبخ حيث كانت تعد له بعض الساندوتشات ليأخذها معه ويأكلها حينما يريد .

ـ ستيف .. ان دكتور زيجنى هنا .. انه يقول انه جاء ليراك .

ـ قولى له يصعد ..

وفى لحظة كان زيجنى هناك وشعره يتطاير حول رأسه .. وقال :

ـ لقد لحقت بك فى الوقت المناسب . انك ذاهب الى واشنطن استمع لى .. ان هناك شيئا يجب أن تعرفه اولا .. اننى قادم لتوى من واشنطن . ولقد اطلعت على صور للمدن اليابانية ـ صور التقطتها الطائرات الاستطلاعية .. وليس يهم أن تعرف كيف رأيتها ان الدمار جحيم هناك : لقد قامت طائراتنا ب ٢٩ بحملات دمار تشبه نيران الجحيم . وتكاد بحرية اليابان أن تكون قد تحطمت .. فلم تعد هناك سفن لكى تستخدم . فالحصار من البر والبحر .. ويجب ان تستسلم . وسوف يطالب الشعب هناك بذلك . والحكام لا يستطيعون ان يسكتوهم . لذلك فليس هناك ضرورة لان تقوم امريكا بالغزو . ويجب الا نستخدم القنبلة . قل هذا للرئيس .. وقل له ان الوقت قد تأخر جدا . ان اليابان سوف تستسلم .. اننى اقسم بذلك . فاليابان فى حالة خضوع الآن . انهم شعب معتز بنفسه جدا .. ولكن يجب الا نذلهم ، ويجب أن نغفر قليلا ؟ لنأمرهم بالاستسلام فقط . فان هذا يبقى لهم بعض الكرامة .. انه لابد من استخدام القنبلة لانهاء الحرب ؟ .. لا .. لا .

وكان يستعطف فى جد ورغبة أكيدة ، وتصبب العرق من جبهته وقال :

ـ ستيفن « سوف احاول .. سوف احاول » .

قال وزير الحرب !

ـ ان الرئيس يعرف كل ذلك .. وهو يبدو عليه التعب الشديد والحزن . كما انه فقد الكثير من وزنه . وقد وعد زوجته بأنه ما ان تنتهي الحرب حتى يذهب الى المستشفى ليرى سبب الالم الذي يحس به في جانبه الايمن ، وسألته زوجته :

ـ الى متى ستظل هذه الحرب ؟

واجابها :

ـ بضعة ايام اخرى يا سارة .

فتعجب ستيفن وقال :

ـ اذن فهو يعرف ، وما يزال يصدر أوامره باسقاط القنبلة .

« فتنهد الرجل العجوز وقال .. هذه هى الأوامر الآن . اننا لا نستطيع ان نتراجع . ولكن نستطيع فقط ان نخفف من الأمر » .

ـ نخفف من الامر ! كيف نخفف من هذا الحريق الهائل ؟.

ـ سوف نحذرهم .. والرئيس يجهد تحذيرهم .. وقد اضطررت لان اقول له ذلك .. فالاستسلام سوف يجعل الغزو شيئا غير ضروري .. والقنبلة ايضا .

هل يطالب باستسلام غير مشروط ؟.

ـ نعم .. وان يتقبل شيئا غير ذلك .. ولا يعتقد ان الشعب الامريكي سوف يقبل شيئا غير ذلك . والحق أن لدينا معلومات من اليابان بأنهم لن يقبلوا الاستسلام غير المشروط .

ـ اذن فنحن نصر على القاء القنبلة ؟.

ـ نعم .. ولكن احب ان اقول ان الشروط التي نقترحها مشرفة .. فسوف يحتفظون بسيادتهم .

ـ واذا لم يقبلوا ذلك فما هو البديل .

فقال وزير الحرب :

ـ الدمار الشامل .

وسقط صمت الدمار بينهما . وقال ستيفن بعد برهة :

ـ اذن يجب أن نحذرهم .. ونحذرهم مرات كثيرة ..

ـ نعم .. سوف تقوم طائراتنا بالقاء بعض القنابل كتمهيد .. وبعد ذلك نعرض الاستسلام .

ـ ان الناس يجب أن تعرف .. فيمكننا ان نسقط ملايين المنشورات .

ـ ليس هناك وقت .

ـ يجب ان يكون هناك وقت .. سوف أقوم بذلك بنفسى ..

ونظر وزير الحرب الى ستيفن وقال :

ـ سوف أقدم المال اللازم .

ـ أشكرك .. والآن أرجوك أن تغفر لى خروجى بسرعة ..

ـ اندفع .. اسرع .. افعل ما تستطيع .. ودعنى أعرف كيف يمكن أن أساعدك .

وقال ستيفن مرة أخرى .

ـ شكرا ... شكرا ..

وفى السادس والعشرين من شهر يولية ، أذيع طلب الاستسلام ونشر فى الصحف أيضا . وانتظر ستيفن الرد من مكتب وزير الحرب .. وجاء الرد رسميا وقائلا « ان الحكومة اليابانية لا تستطيع ان تتسلم هذا العرض المشين » . وأمر وزير الحرب بالقاء المنشورات . وفى اليوم التالى سقطت المنشورات على مدن اليابان .. وقال ستيفن :

ـ هل يستطيعون القراءة .. فماذا يحدث لو أن الناس لا تستطيع القراءة ؟ .

فقال وزير الحرب :

ـ انهم يستطيعون القراءة .. فاليابان تتمتع بأكبر نسبة من التعليم فى العالم .

وكانت المنشورات تحذر بالقاء القنابل التقليدية أولا ..

وفي اليوم الثامن والعشرين دكت ست مدن بالقنابل ..

ومع ذلك لم يصل الى واشنطن أية كلمة .. وكان ستيفن يوما بعد يوم ، يعد الساعات ..

وفي الخامس من اغسطس ، لم يكن هنـاك اي رد .. فأمر وزير الحرب بتوجيه تحذيرات خاصة ، والقاء ملايين أخرى من المنشورات .

ومر اليوم ولم يات اى رد . وفي منتصف الليل نظر الرجل العجوز المتعب الى العالم الشـاب . فلم يكن أى منهما قد غادر الحجرة طيلة ثمان وأربعين ساعة . وقال في هدوء :

ـ ستيفن .. لقد فعلنا كل ما نستطيع .. عد الى معملك .

وفوق المدن اليابانية حلقت الطائرة مثل فراشة متفتحة .. كانت صبيحة يوم من أيام منتصف الصيف ، وكان يوم العمل قد بدأ لتوه ، والرجال يســيرون الى مـكاتبهم ، والنسـوة يركبن « الروكشا » الى السـوق ، والأطفـال يستعدون للمسـير الى فصولهم ، وسمع هؤلاء جميعا صوت أجنحة فوقهم .. ورفعوا رءوسهم ورأوا الطائرة في الجو .. طائرة واحدة .. واطمأنت نفوسهم .. فماذا يمكن أن تحدثه من خسائر ؟ . ان طائرات العدو تأتي بالمئات لتقوم بعملها .. وهـذه طائرة واحدة .. وربما تكون طائرة استطلاع ؟ . وابتسم كل منهم للآخر في ارتياح . وذهب كل منهم في طريقه .

ودون أن يلاحظ احد ، سقط من الطائرة شيء فضي ، وهبط الى أسفل شيء صغير في الجو مثل اللعبة ، نقطة تلمع ، قطعة من الشمس .. وكانت في الحقيقة قطعة من الشمس ، كتلة كبيرة جدا من النار ، ذات حرارة في داخلها تصل الى مائة مليون درجة فهرنهيتية ، مضغوطر كي صندوق معـدلي صغير . وفجأة انفجر هذا الصندوق . وانزاح الهواء من حولها بفعل الضغط الهائل ، ومن هـذا الانفجار العنيف هبت رياح بسرعـة مئات الأميال في

الساعة ، بل بسرعة الف ميل فى موجات كبيرة .. واثار التفجير العنيف القوي اللهيب فى كل مكان يصل اليه من خشب وقماش ، واسطح من الطين ، واعمال الفن الكبيرة ، والأجساد البشرية والدم والعظام والمخ .. وبعد ذلك جاء دور الاشعاعات التي لا ترى ... فمن بين سكان المدينة وعددهم ثلاثمائة الف نسمة مات الثلث فى الحال ، واحترق معظم الباقين ، أو أصيبوا بالشلل والندوب التى تتأجج نيرانا فى لحمهم ..

ووجه احد الصحفيين الى الطيار الأمريكى الشاب الذى القى القنبلة هذا السؤال :

ـ كيف كان شعورك وانت تلقى القنبلة ؟ ..

فاشعل سيجارة ..

كان يوما صافيا ، والسماء بلا سحب ، واشراقة الشمس رائعة ، وكانت السفن على الشاطىء تنتظر ان تحمل القوات . خمسين الفا منهم ، الى المعارك في الأدغال . وفى الساعة الثامنة والربع ، لمس الزر ، وافرج عن القنبلة ، هذا الصندوق الذى يحتوى على الموت والدمار . وبعد ذلك اسرع هو والطيار الى طوكيو . وانفجرت النيران والدخان فى المدينة . وتحت النيران والدخان والتراب اختفت المدينة .

ولكن فى المدينة الميتة ، كان هناك رجل حى يزحف خارج زنزانة .. ووقف لمدة ثانية واحدة ، ثم حملق فيما حوله . انه فى صحراء ، صحراء داكنة من الموت والدمار . واطلق صرخة عنيفة ، وصيحة يأس ، ورفع راسه الى السماء وصرخ :

ـ ان هذا فوق ما يتحمله البشر ..

وسقط على الأرض صمت رهيب .. وكان اعمقه فى تلك المدينة التى انشئت واسست لتنتج القنبلة . والآن انتهى عملها . وقد اعلنت صحف الصباح ، والمذيعون فى الراديو ، واسلاك

التلغراف والأسلاك تحت المحيطات ؟ كل هذه قد أعلنت أن المهمة قد تحققت . ودمرت مدينة ثم أخرى ، وانتشر الصمت الكبير في كل مكان من العالم .

وفي هذا الصباح .. وفي صمت ... وبناء على مصادفة غريبة من مصادفات الحياة ، تلقت جين رسالة ظلت تنتظرها في مكتبها . وكانت قد ذهبت الى المعمل هـذا الصباح لأنه لم يكن هنالك شيء آخر تفعله ، وفي هذا الصمت لم تتحدث الى أحد ، ولم يقترب أحد منها . وقد غادر ستيفن المكان منذ يومين دون أن يبلغها الى أين سيذهب . وخمنت انه لم يستطع أن يتحمل أن يوجد في هذا المكان بعد أن اسقطت القنبلة . وقد ذهبت هيلين معه . وهي لا تشعر بأية غيرة .. ولم تشعر بشيء .. واستقر الصمت في نفسها أيضا .. لقد انتهى شيء ما ..

وفي هذه اللحظة بين النهاية والبداية ، يظهر خطاب .. لقد ظل بينها وبين « رامان » الاتصال الحدسي الذى تقبلاه على أنه علاقتهما التامة . وقد مضى عام كامل منذ أن كتب اليها . بل انه لم يرد على خطابها الأخير الذى كتبته في نوبة الم من العزلة بعد أن اعترف بحبه لها وقراره بالا يسمح لها أن تعود الى الهند أو اليه .. لقد كتب اليها منذ عام يقول : « لقـد تخليت عن دمي الانجليزى واخترت الهند . واختيار الهند معناه أن أعيش الحياة الهندية . اننا لا نطلق زوجاتنا نحن الهندوس . ولاكشمى بريئة . وهي زوجة طيبة . فهل اتخلى عنها واطلقها لأنني أحبك ؟ . وهل أنا خليق بذلك ؟ » .

كان خطابا قاسـيا كتب برقة . وقـد اجـابت عليه بالحب والغضب . والآن ، وبعد عام ، عادت العاطفة القديمة التى كانت بينهما منذ أن كانت تلميذة ، وهو استاذها ، بعد أن رأت خطه ومن بين أيام حياتها جميعا كان ذلك هو اليوم التى شعرت انها في حاجة ماسة لأن تستمع اليه .. وتكلم هو ..

وذهبت الى معملها ، واغلقت الباب . ولدقائق جلست وفى يدها الخطاب لم يفتح بعد واخيرا فتحته ، وفى الصمت الذى يطبق على العالم بدأت تقرأ ...

« طفلتى الحبيبة ...

سوف تتصورين ان هذا خطاب غريب تتسلمينه هذا اليوم ... اننى أكتبه اليك لأنك الأمريكى الوحيد الذى اعرفه . فهل لك صوت ؟ بما انك عالمة فلا بد انك على اتصال بالعلماء الآخرين ، وربما تستطعين ان تستعيرى أصواتهم .. والحقائق التى لدى تقول بأن العلماء الامريكيين يعدون لسلاح جديد . وقد تسالينني كيف عرفت ذلك .. اننى أعرف لأن هناك طالبين روسيين فى الفصول التى ادرس لها وقد بعثا الى بذلك من موسكو ، ولست اعرف لأى سبب . ان هنا فى الهند اكثر من قليل من الطلبة الروس وهم ليسوا شبابا عاديين . فهم يعرفون اشياء كثيرة لا يعرفها الطلبة العاديون . فمثلا يعرفون معلومات عن هذا السلاح الجديد . فكيف حصلوا عليها ؟ . لابد انهم حصلوا عليها من الجواسيس . ولكن أية جواسيس ؟ . انه ليس من اهتمامى ان اعرف هذه الأشياء .. ان ما أهتم به هو انك كنت تصنعين سلاحا جديدا .. ولكن كيف تستطيعين يا طفلتى الصغيرة ان تصنعى سلاحا ؟ . فاننى اعرفك رقيقة وذكية وحكيمة وجميلة كذلك . ومع ذلك فانت تعملين بين الرجال . واذا كان هناك سلاح جديد ، فارجوك الا يستخدم .. فسوف يكون سلاحا ضدكم وضد بلادكم .. ولن يغتفر لكم هذا السلاح الجديد . وانا اعرف شيئا عن هذا السلاح . لقد اخبرنى تلاميذى . وقد أبلغوا بعض الناس ذوى الأهمية ، ذلك لأنهم يعرفون انه بعد أن تنتهى الحرب ، سوف تستقل الهند ، وهم يأملون ان نتبع روسيا .

طفلتى ..

ان قوة هذه الروسيا الجديدة هى انها تعرف ما تريد .. انها تريد أن تغير نمط الحياة فى كل بلد ، وفى العالم كله . لذلك

يجب أن تعملوا ايضـا فى بلادكم .. اولا .. يجب الا تسمحوا باستخدام السلاح .. فسوف يقال انكم احجمتم عن استخدامه بينما كانت المانيا فى الحرب ، ووفرتموه لتضربوا به اليابان . ولكن اذا استخدم ، ولم تستطيعى منع ذلك ، فحينئذ ناشدى حكومتك أن تبقى قواتكم في اوربا . لا تنسحبوا بسرعة . واتركوا اماكن خالية تحتلها الجيوش الروسية . كذلك اقول لكم ان روسيا سوف تنضم مع الصين ، اولا مع شيانج كاى شيك وبعد ذلك مع ماوتسي تونج . هل تعنى هذه الاشياء شيئا بالنسبة اليك يا طفلتى ؟ . ان لم تكن تعنى شيئا فادرسى كل ما يقال وما كتب عنها فى الحال . ان عصرا جديدا يبدأ . وهو عصر جديد رهيب، فمن اللحظة التى تستخدم فيها الأسلحة ، اذا استخدمت .. سيكون كل شىء قديما .. طفلتى .. عودى الى الهند .. فهنا ستكونين فى امان » .

ونسيت على الفور كل تحذيراته ، ولم تزل الدعوة بالعودة الى الهند ، وهناك ستكون فى مأمن . وطافت بمخيلتها مراعى طفولتها وصباها ، ووديان وسهول « المورا » خضراء ومثمرة والجبال المتوجة بالثلوج والناس الذين يحبون ويتعاطفون . وتاقت لان تكون هناك آمنة كما قال رامان ، وبالقرب منه ان لم يكن معه . يا للاسف . انها لم تعد طفلة . فكيف تهرب مما وصلت اليه ؟ . فهى امراة هنا او فى الهند . وتركت الخطاب يسقط من يديها واحنت راسها على ذراعيها المطويتين على منضدة المعمل واخذت تبكى .

وبعد قليل كانت تدق جرس منزل ستيفن كوست . وكانت زوجته وحدها بالداخل بعد ان تركها اثر مشاجرة او نقاش اشتد وتوتر حول ما سوف يفعله ستيفن بعد ذلك . وفتحت الباب لترى جين فقالت :

ـ لقد خرج ستيفن لتوه .

فقالت جين :

ـ لم آت لأراه .. لقد جئت لأراك .

ـ اذن ادخلي .

وقالت جين :

ـ لا ادري كيف ابدا .. وربما لا اعرف لم اتيت الى هنا .. انني اريد ان ارى امراة اخرى واتحدث الى امراة .. وفكرت فيك . فانا اعرف قليلا من النساء .. لقد جعلني عملي اعتزل الناس .

ـ انني احسدك .

ـ هل تعتقدين انني استحق هذا الحسد ؟.

فقالت هيلين وهي في حالة عصبية :

ـ لقد عشت وسط الرجال ونحن في المشروع .. وقد قالوا لك كل شيء . أليس كذلك ؟ ولقد عرفت أسرارهم .. نعم . انني أغار منك .. انني أغار من حياتك .

واستمعت جين الى هذه الثورة باهتمام مؤلم وقالت :

ـ لم أسمع امراة تتحدث حقا من قبل . انني أعرف ماتعنين .. انني لم أعش حياتك ولكنني أعرفها .. وأنا حسدتك أيضا كنت أريد أن أتزوج ويكون لي اطفال .

ـ لقد كنت أريد الاطفال أيضا ، وفجأة خشيت ان آتي بهم .. فهل آتي بهم هنـــا وانا لا أعرف ما سيواجههم ؟ هل تريدين اطفالا ؟.

ـ انني أحلم بهم .. ولكنهم ليسوا أكثر من حلم . فلم أحب اي رجل الحب الكافي حتى أتخلى عن عملي .

وكانت رقة جين سببا لأن تتشجع هيلين وتقول :

ـ لو اعتقد أن ستيفن سيكون سعيدا مع .. معك ـ لقبلت ذلك ـ وربما لا يكون ذلك مرة واحدة .. ولكن على مهل ..

ـ انه حياتك كلها .. أليس كذلك ؟.

ـ أعتقد ذلك .. فانا لا أعرف تماما .

فقالت جين فى هدوء :
ـ ولكنه ليس حياتى كلها ـ اننى أرى حياتى كلها مع رجل ولكنها ستكون حياة نصنعها معا ، مادام أحدهمـــا رجل وآخر امرأة .. وسوف نجعل الحياة كاملة .. حياة البعد الرابع .
ـ اننى لا أفهم البعد الرابع .. ولذلك لا أستطيع أن أعيشه.
ثم تقابلت عيونهما . وصافحتها جين وهى تقول :
ـ اننى ذاهبة الى الهند .

ونعود الى بيرتون هول . لقد استطاع ان يقف على قدميه مرة أخرى ولكنه يستعين بعصا وهو يسير .. وكان قلقـــا .. يعى الجو الذى تغلف فيه زوجته نفسها والذى لا يدركه تماما . ولم يحدثها عن القنبلة لانه حقيقة لا يعرف اليوم أو الساعة أو المكان الذى أسقطت فيه . ولم يكن يريد أن يعرف . فلم يكن هذا من شأنه . ولذلك فان أول شيء عرفه هو عندما رأى ذلك فى الصحف أمس .. هيروشيما .. نجازاكى .. وانتهت الحرب .

وقال لزوجته :
ـ على أية حال .. لقد انتهت الحرب .

ولم تقل شيئا ، بالرغم من أنها بطبيعتها ثرثارة ... وأخـــذ يتناول فطوره فى صمت وهو يختلس اليها بين الحين والحـــين بعض النظرات . ثم لم يطق صبرا فسألها :
ـ هل انت مريضة ؟
فقالت :
ـ اننى مريضة .. حتى اننى اذا خرجت من هذا المنزل فاننى لن أعود .
وأخذت تمسح عينيها . فرجع بكرسيه الى الوراء وقال :
ـ قولى ما فى نفسك .. أفرغى ما عندك ؟ .

ولم تقل كل شيء .. ولم تفرغ ما عندها .. ولـكنها أخذت تبكى .. حتى أنها كانت تبتلع بصعوبة . ثم انفجرت :

ـ انه شيء قذر تفعلونه .. كان يجب الا تفعلوا ذلك .. ماذا يحدث الآن ؟ انني لا اثق بك .

ـ انصتي .. كان يمكن ان يموت مجموعة من الشباب الامريكي .. تذكري ولديك .. اتريدين ان يكونا من الضحايا اتريدين ان يموتا في الادغال ؟.

ـ لقد قتلنا مائة الف مرة واحدة .. فالصحف تقول ذلك .

ـ حينئذ كنت تريدين ولديك ..

ـ لا اريد احدا .. وددت لو لم يكن لي اولاد .. انه ليس من الصواب ان نأتي بأولاد في عالم كهذا .

وصاح كل منهما في الآخر .. واخذت مولي تولول .. وحاول أن يسكتها ولكنها لم تسكت .. لم تعد هدهداته تؤثر فيها كما كان يحدث من قبل .. ثم قالت من بين الدموع :

ـ لقد استخدمتم القنبلة لانها شيء صنعتموه ، ولم تستطيعوا أن تتحملوا الا تستخدموها .. لذلك تعتبرون انفسكم على صواب وفي الحقيقة لستم على صواب .. أود ان اعرف راى جين في هذا .. كما أريد أن أتحدث اليها .

ـ لن تستطيعي .. فقد استقالت .. وسوف تسافر الى الهند .

وفي الهند استيقظ « رامان » مبكرا كعادته .. وهو الآن يرش معمله ومنزله بمياه نهر « الجانج » المقدس .. كان الصباح باردا ومشمسا .. والبيت هادئا فقد كبر اولاده .. وكان فخورا بأولاده .. وفي ليلة أمس كان يجلس الى جين .. ويوجه اليها الكثير من الأسئلة .. وعندما افترقا بالأمس لم يتصافحا .. ولكن كلا منهما ادى لصاحبه تحية الاحترام على عادة أهل الهند ومع ذلك لم ينم .. فقد استيقظت الحقيقة في نفسه وهي انه لم يحب اى امرأة كما احب جين . وهو لا ينكر ذلك او يجادل فيه .. فقد تعلم أن يعيش مع الحقيقة . وكان بعد ذلك يرى جين

كثيرا .. واستطاع ان يقنعها بأن تعود الى بلادها .. والى مراكز العلم هناك .. وكانت ترجوه أن تبقى عاما أو عامين ولكنه كان يلح عليها بالعودة فهى لم تعد الطفلة الصغيرة .. وأخيرا وافقت على رأيه وقالت :

ـ يجب أن أطيعك .. ولكنك ستبعث الى بالخطابات .
فقال :
ـ الى ان نموت .

خرج ياسوا ماتسوجى من المعسكر .. وأصبح حرا مرة أخرى .. وسافر الى شيكاغو ، حيث قرر أن يؤجر شقة صغيرة ويبدأ الرسم .. وحيث يجد صديقه بيرتون هول .

وفى صبيحة يوم من أيام أكتوبر وجد «بيرتون هول» «ياسوا» على عتبة الباب .
ـ تعال .. تعال ..
وجر الرجل اليابانى النحيف الى داخل المنزل وأغلق الباب وبعد أن جلس «ياسوا» سأله بيرتون :
ـ سوف تبدأ الرسم حالا بالطبع ؟.

ـ لا اعرف ماذا أفعل أولا .. احيانا أريد أن أعود الى اليابان بعض الوقت .. فانى أريد أن أرى كيف حال اليابان الآن .. وفى بعض الاحيان اريد ان انغمس فى الرسم ..

فقال بيرتون هول :
ـ اتمنى الا تذهب .
ـ لم لا أذهب ؟.
ـ لا اريد ان يتحطم قلبك ..
ـ اذن لنذهب معا ..

ـ انني لم افكر فى الذهاب الى هناك . وقد تكون على حق .. ولست ادري ماذا يقول ستيفن فى ذلك . وربما يريد أن يأتى ..

وذهب الى التليفون وطلب ستيفن .. ولم يجده .. وبعد خمس عشرة دقيقة سمع صوت ستيفن الذى اعتذر عن الذهاب لانشغاله بعمله الجديد فى شركة « كانادى فاريل » فقال بيرتون هول :

ـ سنذهب انا وانت معا .. انتظر حتى ابلغ مولى بذلك ..
ووافقت مولى قائلة :

ـ اعتقد انك يجب ان تذهب فيجب أن ترى ما فعلتموه .. ولا يجب أن تتهربوا من النتائج .. واننى لسعيدة اذ أن ياسوا سوف يذهب معك يجب ان تجعله يرتدى « سويتر » تحت معطفه يا « ياسوا » .. فهو يبرد بسهولة الآن وينسى كل شىء عندما يكون مهتما .

واقلتهما الطائرة الى اليابان .. وبعد مؤتمر صحفى دارت فيه مناقشات طويلة واسئلة موجهة الى بيرتون هول ذهب هو وياسوا الى الجبل الذى يطل على نجازاكى . واخذا ينظران الى الاطلال التى كانت فى يوم من الأيام منزل «ياسوا » أو مدينته . وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ماكان فى يوم من الأيام منزل « ياسوا » أو مدينته .. وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ما كان فى يوم من الأيام منزل صباه .. وبكى بيرتون هول ايضا فهو يرفض أن يصدق أنه كان يمكن ان يكون هناك بديل لذلك . ووقف الرجلان كل منهما فى حالة تعب على جزء صخرى من المنحدر المغطى بأشجار الصنوبر .. كانا فى هيروشيما .. وعرفا كل ما يمكن أن يعرف .. ورأيا الناس الذين كتبت عنهم الصحف الريبورتاجات والتقارير . وقال بيرتون هول :

ـ هل تعتقد ان هذا سوف ينسى فى يوم من الأيام ؟ .
ـ لا اعتقد .. كيف تستطيع أن تنسى .. او انسى أنا ؟ . اننا نتذكر .. ولكننا لا نفكر ان علينا أن نعمل .. انا ارسم وانت تعلم ..

ولا فائدة من البقاء هنا الننا لا نستطيع ان نبنى . فقد تقدمت بنا السن .. ان علينا أن نقوم بعملنا .. ولا يهم أى شىء اكثر من ذلك ؟ .

ـ اعتقد انك على حق ..

وانتهت رحلتهما وعادا الى أمريكا . واخذ بيرتون يحلم بفصل مريح .. ووجوه شابة تنظر اليه لتتعلم وتسمع ، وشمس الصباح تشرق عبر النوافذ .

أما ستيفن فقد عمل ـ كما قلنا ـ فى شركة كانادى فاريل فى وظيفة محترمة تدر عليه الكثير من المال ، وتتيح له حرية البحث أكثر مما كان يتوقع . ولم يكن يفكر فى ان ما يقوم به الآن له علاقة بما حدث . وكان يسمع عن جين من حين الى آخر . كانت تعمل فى علم الأحياء . وقد كتب لها أن هذا العلم هو العلم الذى سيكون له شأن كبير . فتحسين الحياة ، وخلق حياة جديدة ، هما المجال القادم للعمل . لقد مضوا شوطا كبيرا فى الطبيعيات .. وعلى الرجال الذين يريدون السفر الى الفضاء ، ورجال الجيش هؤلاء جميعا أن يحققوا النظريات الآن التى تتعلق بصنع الصواريخ .. وقد سمع وهو فى واشنطن الشباب من العلماء يتحدثون بلغة جديدة خاصة بهم .. وقد قال الرئيس أن الله يعرف ماذا سيقولون عندما يعودون من الفضاء . ان السفر الى الفضاء هو الحدث التالى .. وسوف تشغلنا عن التفكير فى الحروب .. اقول هذا بمناسبة التفجير الكبير الذى فجرتموه فى الصحراء .. لقد دفع بنا الف عام الى الامام .

وقال ستيفن :

ـ لست ادرى هل يستحق كل هذا .

وعاد الى شيكاغو وتحدث الى بيرتون هول عما رآى .. وكان هو قد عاد من اليابان . ولكنه لم يتحدث كثيرا عما رآه هناك .

وقال :

ـ ليس هناك فائدة من الكلام .. لقد اصبحنا « من القديم » يا ستيف . لقد عملنا اربع سنوات فى المشروع .. ونجحنا .. وقد صنعنا القنبلة وانتهت الحرب .. وهؤلاء العلماء الشباب الجدد لا يفكرون فينا ، ولا يفكرون فى القنبلة . لقد اكتشفنا النار المقدسة لهؤلاء ، واستولوا عليها منا . انهم يركبون الى الفضاء على اجنحة القوة ..

ثم هرش راسه وقال :

ـ ان هذا يجعلنى افكر فى ابى .. وانى اتذكر ترتيلا كان يردده من سفر أيوب حيث سأله الله « هلا امرت الصبح » .. وانى اعتقد ان هؤلاء الشباب عندما يذهب أول واحد منهم الى

.. وانى اعتقد أن هؤلاء الشباب عندما يذهب أول واحد منهم الى

الفضاء ، ويتجه الى القمر عن طريق الطاقة التى اكتشفتها انا وانت والعلماء الآخرون ، فسوف يعود الينا هنا على هذه الأرض الصغيرة .

ويقول :

ـ نعم أيها الانسان .. انى امرت الصبح .


الدار القومية للطباعة والنشر